جُمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الشعائر والطقوس العاشورائية في كربلاء من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الهجري (دراسة تاريخية)

رسالة ماجستير تقدَّم بها الطالب:

أحمد عبد الله رشيد

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية-جامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف:

الأُستاذ الدكتور: ميثم مرتضى نصر الله

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)

صدق الله العلي العظيم

سورة الحج، الآية: ٣٢

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (الطقوس العاشورائية في كربلاء من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الهجري-دراسة تاريخية) للطالب أحمد عبد الله رشيد، قد جرت كتابتها تحت إشرافي في جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

توقيع المشرف

أ.د. ميثم مرتضى نصر الله

٢٠٢٣/٤/٦م

توصية رئيس القسم

بناءً على التوصيات المقدّمة، أرشّح الرسالة للمناقشة.

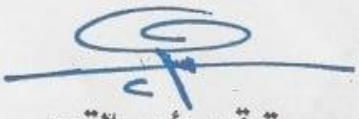

توقيع رئيس القسم

أ.د. سلام المسعودي

٢٠٢٣/٤/٦م

اقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس واعضاء المناقشة، إننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة (الشعائر والطقوس العاشورائية في كربلاء من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الهجري (دراسة تاريخية) وقد ناقشنا الطالب (احمد عبدالله رشيد عبد الله) في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ ٢٠٢٣\٩\٢٨ م يوم الخميس ونعتقد بانها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي بتقدير( )

التوقيع

رئيس لجنة المناقشة

أ.د. هاشم ناصر حسين

التاريخ ١٥ \ ١٠ \ ٢٠٢٣

التوقيع

عضو لجنة المناقشة

أ.د. حمدية صالح دلي

التاريخ ١٧ \ ١٠ \ ٢٠٢٣

التوقيع

عضو لجنه المناقشة

أ.م.د. علاوي مزهر مزعل

التاريخ ١٩ \ ١٠ \ ٢٠٢٣

التوقيع

عضو لجنة المناقشة ومشرفاً

أ.د. ميثم مرتضى مصطفى

التاريخ ١٥ \ ١٠ \ ٢٠٢٣

مصادق مجلس الكلية

صادق مجلس كلية التربية للاختصاصات الانسانية \ جامعة كربلاء على اقرار لجنة المناقشة

التوقيع

أ.د. حسن حبيب الكريطي

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية \جامعة كربلاء

التاريخ ٢٤ \ ١٠ \ ٢٠٢٣

الإهـــــــــــــــــداء

إلى سيّدي ومولاي الإمام الحسين

(عليه السلام)

أهدي هذا الجهد.

الباحث

كلمة الشكر والعرفان

أتقدّمُ بخالص الشكر والعرفان إلى أُستاذي المشرف الأستاذ الدكتور ميثم مرتضى نصر الله المحترم، الذي صبر معي طويلًا وبذل جهدًا كبيرًا في توجيهي وتصويب كتاباتي ومراجعة الرسالة لأكثر من مرة.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي في قسم التاريخ الذين بذلوا جهودًا علمية كبيرة طيلة مدة الدراسة، وأوصلوني إلى هذه المرحلة العلمية، وهم كل من: الأستاذة الدكتورة انتصار لطيف حسن، والأستاذ الدكتور حسين كاظم حسون، والأستاذ الدكتور اياد عبد الحسين صيهود، والأستاذ الدكتور زين العابدين جعفر، والأستاذ المساعد الدكتور محمد مهدي علي، والأستاذ المساعد الدكتور حسين كريم حميدي، والأستاذة المساعدة الدكتورة كوثر حسن مهدي، والأستاذة المساعدة الدكتورة سلوى حسن عيدان، والأستاذة المساعدة الدكتورة عبير عبد الرسول.

ولا أنسى الشكر والعرفان لأصحاب المكتبات وكل الذين كان لهم أثر في إتمام هذه الرسالة ممَّن أشار عليَّ بكلمة توجيهية أو أعانني بمصدر أو فكرة أو غير ذلك مما احتجتُ إليه.

قائمة المحتويات

ت	الموضوع	الصفحات
١.	المقدِّمة	١-٣
٢.	الفصل الأول:	٤-٣٤
	المبحث الأول: تمهيد	٥-١٠
	المبحث الثاني: جذور الطقوس العاشورائية	١١-٢٢
	المبحث الثالث: الرواية في الطقوس العاشورائية	٢٣-٣٤
٣.	الفصل الثاني:	٣٥-٦٥
	المبحث الأول: أهداف الطقوس العاشورائية	٣٦-٤٥
	المبحث الثاني: البكاء في الطقوس العاشورائية	٤٦-٥٥
	المبحث الثالث: المآتم في الطقوس العاشورائية	٥٦-٦٥
٤.	الفصل الثالث:	٦٦-٩١
	المبحث الأول: مجالس العزاء في البيوت والشوارع والحسينيات	٦٧-٧٩
	المبحث الثاني: لبس السواد وآلات العزاء وأدواته	٨٠-٨٦
	المبحث الثالث: إطعام الزائرين	

		٨٧-٩٢
٥.	الفصل الرابع: المبحث الأول: عزاء طويريج المبحث الثاني: عزاء التطبير المبحث الثالث: موكب عزاء أطراف المدينة	٩٣-١١٥ ٩٤-١٠٠ ١٠١-١٠٦ ١٠٧-١١٥
٦.	خاتِمة الرسالة	١١٦-١١٧
٧.	قائمة المصادر والمراجع	١١٨-١٣١
٨.	ملخّص الرسالة باللغة الإنجليزية (Abstract)	A

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، حمدًا لا منتهى لحدّه، ولا حساب لعدده، ولا مبلغ لغايته، ولا انقطاع لأمَده، وصلاته الدائمة على نبي الرحمة وقائد الأُمّة رسوله الكريم، وعلى آله الطاهرين المعصومين، وأصحابه المنتجبين، ومَن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

شهد التاريخ الإسلامي بروز شخصيات عظيمة الأثر في حوادث تاريخية مفصلية غيّرت مجرى الأحداث لا سيما السياسية والاجتماعية والعقيدية، ومن أهم تلك الأحداث وأكثرها تأثيرًا في التاريخ هي واقعة الطف ذات الأيام المعدودة والتي خُتِمَت بيوم عاشوراء، الذي كان محط عناية أئمة أهل البيتβ والرواة والمؤرخين وسائر الناس المتلقّين، فتناوله الجميع بجمع أحداثه الصغيرة والكبيرة، فعرف الجميع فضله وفضل ذلك الإمام العظيم الذي أيقظ الأُمّة من سباتها بما قدّمه من الدماء الزاكيات له ولأهل بيته وأصحابه، وقد تمخّض عن تلك المعرفة اهتمام كبير لا سيما من شيعة أهل البيتβ ومُحبّيهم بإحياء ذلك اليوم عبر ممارسات وأساليب كثيرة، بعضها كان معروفًا في عصر الأئمة β وبعضها الآخر تطوّر بمرور الزمن، حتى انتهت صورتها إلى هذه الأشكال من الطقوس التي نشهدها اليوم.

إنَّ هذه الدراسة جاءت لتسلط البحث على تلك الطقوس العاشورائية في كربلاء في المدة من (ق٧-ق١٣هـ/ق١٣-١٩م)، وهي مدة لم تُدرس مَن قبل، لذلك اخترتُ هذا الموضوع لما يضيفه من قيمة علمية في مجال الدراسات التاريخية في بعض الجوانب المتعلقة بالقضية الحسينية.

إنَّ قيمة هذه الدراسة تأتي من كونها بحثت الموضوع من أوجه مختلفة وأحاطت به، وقدّمت صورة موضوعية بعيدة عن الجذب العاطفي قدر الإمكان، وهي تُجيب عن تساؤلات عدّة منها: هل أن لجميع الطقوس العاشورائية جذر من عصر الرسالة وعصر الأئمةβ، أم لبعضها جذر وليس لبعضها الآخر من جذر؟ وما تلك الطقوس التي كانت تُمارَس في عصر الأئمةβ؟ وكيف تعاملوا معها؟ وما تأثيرهم على ديمومتها؟ وما أساليبهم في إحيائها؟ وكيف مارسها الشيعة جماعة وفرادى آنذاك؟ ثم كيف تطوّرت تلك الطقوس؟ ومتى؟ ومن أين أتى ذلك التطوّر؟ وما التأثير السياسي عليها؟ ومَن هم العلماء والمؤرخين الذين اهتموا في الرواية العاشورائية؟ وكيف رووها؟ ومَن هم الذين وضعوا البرنامج العزائي في عاشوراء؟ وكيف ساعد التساهل الروائي للقضية العاشورائية في إدخال ما ليس فيها؟ وما تلك الطقوس التي دخلت كربلاء؟ وكيف صارت تُمارس فيها؟ وما دور ساكنيها في ذلك؟

إنّ هذه التساؤلات وغيرها قد أُجيبَ عنها في هذه الرسالة التي احتوت بعد المقدّمة على أربعة فصول في كل فصل ثلاثة مباحث، ثم خاتمة، وتلتها قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

فاحتوى الفصل الأول على تمهيد، وهو المبحث الأول، ثم كان المبحث الثاني بعنوان: جذور الطقوس العاشورائية، ثم المبحث الثالث الذي درستُ فيه الرواية في الطقوس العاشورائية.

وفي الفصل الثاني درستُ في المبحث الأول منه أهداف الطقوس العاشورائية، ثم في المبحث الثاني تناولتُ دراسة البكاء في الطقوس العاشورائية، وفي المبحث الثالث درستُ المآتم في الطقوس العاشورائية.

ثم كان الفصل الثالث وفي المبحث الأول منه تعرّضتُ لدراسة مجالس العزاء في البيوت والشوارع والحسينيات، وفي المبحث الثاني تعرّضتُ لذكر الآلات وأدوات العزاء والسواد والمشعل والسلاسل، وكان المبحث الثالث خاصًا بإطعام الزائرين.

وفي الفصل الرابع وهو الأخير، كان البحث في المبحث الأول عن عزاء طويريج، وفي المبحث الثاني خصّصتُ البحث لعزاء التطبير، وأفردتُ البحث في المبحث الثالث لموكب عزاء أطراف المدينة.

وقد تنوّعت المناهج العلمية التي اعتمدتُها في هذه الدراسة، ففي أكثر المواضع اعتمدتُ المنهج التاريخي، وفي مواضع أخرى كان اعتمادي على المنهج الوصفي، وكان المنهج التحليلي معمولًا به لديَّ أيضًا.

الفصل الأول:

المبحث الأول: تمهيد

المبحث الثاني: جذور الطقوس العاشورائية

المبحث الثالث: الرواية في الطقوس العاشورائية

المبحث الأول:

تمهيد

إنَّ من المطالب المهمة التي لا بد من ذكرها قبل الانتقال إلى التفصيل في ذكر الطقوس العاشورائية، هو تبيان الأصل اللغوي لكلمة طقوس، ومن ثم التعريف بها من الناحية الاصطلاحية، مع إيضاح شيء من الارتباط ما بين الطقس والمعتقَد والشعيرة، وذلك أنّ الباحثين في مرحلة الدراسات العليا يهتّمون كثيرًا ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للمفردة أو المفردات التي يتألّف منها عنوان دراستهم، للوقوف

على المعنى الذي تحمله تلك المفردة، ومن ثم يتضح المعنى العام للموضوع المُراد دراسته، وعلى أساسه تتأطر حدود الدراسة فيكون المحتوى المقدّم ضمن ذلك المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمات المُختارة والمكوِّنة للعنوان.

والطقوس الواردة في عنوان هذه الدراسة، هي إحدى الكلمات التي سيتم تبيانها لغةً واصطلاحاً، وذلك للغرض الذي ذُكِرَ سابقًا.

إنّ كلمة طقوس والتي هي جمع، ومفردتها طَقْس، ليس لها وجود في المعاجم العربية القديمة منها والمتأخرة، وذلك لأنها كلمة غير عربية، وإنما صارت تُذكَر على ألسن العامة، وإذا ذكرها اللغويون في كتبهم فإنما يذكرونها ككلمةٍ دخيلة على اللغة العربية.

وشاع استعمال مفردة الطقس عند العامة للإشارة إلى معنيين، الأول هو حالة الجو[١] وما يعرض عليها من التغيُّر[٢]، من بردٍ وحرٍّ وصحو ومطر[٣]، وغير ذلك من الحالات الجوية التي تحدث في مكان وزمان مُعيّنين[٤]، في يومٍ أو أيامٍ قليلة[٥]، وهو متأتٍ من الكلمة اليونانية stoichehion ومعناه عنصر، والآخر أصله أيضًا

---

(١) اللبناني، طوبيا، كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، ط٢، مكتبة العرب، مصر، ١٩٣٢م، ص٤٧.

(٢) معلوف، لويس، المنجِد في اللغة والأدب والعلوم، ط١٩، المطبعة الكاثوليكية، (د.م)، (د.ت)، ص٤٦٨.

(٣) عطية، رشيد، معجم عطية في العامّي والدخيل، ضبطه وصححه: خالد عبد الله الكرمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص١٠٨.

(٤) مجموعة باحثين، الموسوعة العربية الميسّرة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ص٢١٦٥.

(٥) العايد، أحمد، وآخرون، المعجم العربي الأساسي، لاروس، (د.م)، (د.ت)، ص٧٩٥.

يوناني taxis ومعناه رُتبة ونظام وصفّ[١]، ويقابله في العربية الطريقة[٢]، وهذا المعنى الأخير للطقس هو الذي يهمّني في هذه الدراسة، فقد غلب الاستعمال على الطريقة الدينية، فهو بمعنى النظام والترتيب وإقامة الشعائر[٣]، وهذا ما موجود عند النصارى فهو عندهم نظام الخدمة الدينية أو شعائرها واحتفالاتها[٤].

وأمّا المعنى الاصطلاحي للطقوس، فقد عُرِّفت بأنها مجموعة من حركات سلوكية متكررة، يتّفق عليها أبناء المجتمع[٥]، وقيل عنها إنها إبداعات ثقافية بالغة الإتقان، تقتضي ترابط أفعال وأقوال وتصوّرات أعداد كبيرة من البشر على امتداد أجيال عديدة[٦]، وعُرِّفت الطقوس أيضاً بأنها سلوكيات فردية أو جماعية تنتقل عبر الأجيال وتستلزم مراعاة عددٍ من القواعد الدقيقة والثابتة التي ليس من السهولة تغييرها أو تحويرها إلّا ببطء وصعوبة، وبدون هذه القواعد الثابتة تفقد الطقوس قيمتها وفاعليتها وخصائصها التراثية[٧].

وجاء في تعريف آخر لها بأنها مجموعة من التقاليد المرعية والممارسات التي تنظّمها قواعد نظامية من طبيعة مقدّسة أو موقّرة ذات سلطة قهرية ملزمة ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات معينة. وما السنن الاجتماعية إلّا طقوس

---

(١) اللبناني، كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص٤٧.

(٢) عطية، معجم عطية، ص١٠٨.

(٣) معلوف، المنجد، ص٤٦٨.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٦١.

(٥) دينكن، ميشيل، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص١٧٦.

(٦) إيزار، ميشال، وبياربونت، معجم الأثنُولوجيا والأنتربولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠١١م، ص٦٣١.

(٧) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م، ص٨٣-٨٤.

اجتماعية نسهم فيها جميعا ًبطريقة لا شعورية ذلك لأن الطقوس ما هي إلا أعمال تؤدى أيضاً بطريقة لا شعورية وهي فوق ذلك قوّة في ذاتها، لا تدانيها عقيدة أو قانون .وفي هذا المعنى قيل: ليست هناك عقيدة دينية أو قانون أخلاقي أو دليل علمي يمكن أن يداني في سيطرته على الناس سطوة الاعتياد على عمل معين تلازمه مشاعر وحالات ذهنية شبوا عليها منذ طفولتهم الأولى[١].

بعد هذا التبيان اللغوي والاصطلاحي لمعنى الطقوس، ثمة أمور لا بد من ذكرها هنا قبل الانتقال إلى بقية فصول الدراسة، ومن هذه الأمور ما يخص العَلاقة بين الطقس والمعتقَد، فإن الطقس يضم الجانب الانفعالي والعملي من الدين، وعن طريق الطقس يظهر المعتقَد من كوامنه الذهنية، والعقلية، والنفسية إلى عالَم الفعل. وإذا كان المعتقَد شأناً أساسياً من شؤون الأنبياء، والكهنة، ورجال الدين، لا سيما الناس، فإن الطقس شأن شعبي يتيح ، بطبيعته، مساحة أوسع للناس، فعلى الرغم من أن الخاصّة تشرف عليه، وتوجهه، لكن الناس يعملون على تحويله إلى عادة راسخة تتناقلها الأجيال، وليس الطقس، فحسب، نظاماً من الإيماءات، التي تُترجِم إلى الخارج ما نشعر به من إيماء داخلي؛ بل هو، أيضاً، مجموعة الأسباب والوسائل، التي تُعيد خَلْق الإيمان بشكل دَوْري؛ لأن الطقس والمعتقَد يتبادلان الاعتماد بعضهما على بعض، فعلى الرغم من أن الطقس يأتي ناتجاً عن لمعتقَد معيّن، فيعمل على خدمته، فإنه هو نفسه لا يلبث أن يعود على المعتقَد، فيزيد من قوّته وتماسكه[٢].

---

(١) حمداوي، جميل، أنثروبولوجيا الشعائر والطقوس الدينية، ط١، دار الريف، الناظور–تطوان–المملكة المغربية، ٢٠٢٠م ، ص٢٢.

(٢) الماجدي، خزعل، علم الأديان، تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله، ط١، مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية–الرباط، ٢٠١٦م، ص٣٦.

ومن الأمور الأخرى أيضاً هو تبيان الفرق بين الطقوس والشعائر، فيرى البعض أن الشعائر تمثل الجانب العملي من العبادات باعتبارها سلوكاً يتجه إلى الله تعالى، ولهذا اتخذت مثل هذه الشعائر صفة القُدسية، التي تظهر بوضوح في كثير من الاجراءات والعبادات الدينية التي تدل على الخشوع والخضوع إلى الله سبحانه وتعالى. ومن الملاحظ أيضاً وجود ممارسات شعائرية تحظر القيام بأيٍّ نوع من الحركات كالكلام أو تناول الطعام والشراب وغيرها التي تدخل ضمن المحظورات أو المحرّمات الشعائرية(١).

أمّا الطقوس، فهي رموز لا تحمل دوماً دلالات دينية، وإنما تصطبغ بها في أكثر الأحيان، وترتبط غالباً بالعادات والتقاليد والقصص والأساطير، وتختلط بالشعائر الدينية حين ترتفع إلى مستوى العقيدة. كما أن من أهم خصائصها أنها تميل إلى التكرار والاستمرارية مثل الشعائر، من أجل ديمومة الطقس وإعادته في كل مناسبة كما في الماضي(٢).

ممّا تقدّم يتّضح أن المعنى اللغوي والاصطلاحي للطقوس، مع ما يوجد من رابطة بينها وبين المعتقد، وتميّزها عن الشعائر ببعض الأمور، كلها تحمل دلالات على أنها تؤدّي الغرض الذي نحن بصدد دراسته، وهي الظواهر العاشورائية أو ما أسميناه بالطقوس العاشورائية، التي تؤدّى ومنذ بواكيرها الأولى بطريقة فردية وجماعية، ذات أسلوب منظّم ومُتقَن، مشحون بالروح التضحوية لارتباط الطقس بعقيدة راسخة، جعلت من الأتباع يتحمّلون أقسى درجات الاضطهاد والقهر السلطوي، كما نلحظ ذلك وبكل وضوح في المسيرة الطويلة التي مرّ بها هؤلاء منذ

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٨٣.

(٢) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٨٣.

استشهاد الإمام الحسينφ في العاشر من المحرم الحرام سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[١] في كربلاء[٢] وحتى الوقت الحاضر.

والطقوس العاشورائية في الحقيقة، تطوّرت بمرور الزمن شأنها شأن الكثير من الطقوس الأخرى، فلم يقتصر الأتباع على ما بدى منها أوّل الأمر من البكاء وإقامة المآتم وعقد المجالس وبذل الطعام والذي شجّعه الأئمة الأطهارβ[٣]، وغير ذلك، بل راحوا يطوّرون صوراً أخرى معبّرة في كل صورة طقسية عن حالة من الشعور الداخلي الذي كان ينتابهم أفراداً وجماعة، وهذا ما سأشرحه في الفصول القادمة.

---

(١) تمت مقابلة التواريخ الهجرية وما يقابلها بالتواريخ الميلادية في هذه الرسالة كلها اعتمادًا على: زامباور، إدوارد فون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك، وحسن أحمد محمود، اشترك في ترجمة بعض فصوله: سيدة إسماعيل كاشف، وآخران، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٢٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، مج٣، ص٣٠٥.

(٣) ينظر: البرقي، أحمد بن محمد (ت: ٢٧٤هـ/٨٨٧م) المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ط١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ش، ج٢، ص٤٢٠؛ ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت: ٣٦٨هـ/٩٧٨م) كامل الزيارات، تحقيق: مؤسسة نشر الفقاهة، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤١٧هـ، ص١٦٨؛ الصدوق، محمد بن علي (ت: ٣٨١هـ/٩٩١م) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٨ش، ٨٤.

المبحث الثاني:

جذور الطقوس العاشورائية

إن ممّا لا شك فيه، أن الطقوس العاشورائية التي نشاهدها في عصرنا الحاضر، تعود جذور كثير منها إلى زمن مبكّر من تاريخ استشهاد الإمام الحسينφ، بل بعضها سبق استشهادهφ وهذه خصوصية لم نجدها عند غيره، والبعض الآخر

من تلك الطقوس ظهر في مُدد لاحقة وتطوّر بمرور الوقت حتى انتهى إلى الصورة التي شوهد عليها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهلُمَّ جرًا إلى ما تلاه من القرون مُدّة الدراسة، وإلى وقتنا هذا.

فالبكاء[1]، مثلاً، كطقسٍ واضح ومؤثّر في باب إحياء ذكرى عاشوراء تلك الفاجعة المؤلمة، تعود جذوره إلى ما قبل استشهاد الإمام الحسينφ، فقد وردت روايات كثيرة تذكر بكاء النبي محمدν على الإمام الحسينφ في أمكنة مختلفة وأزمنة متعاقبة، بعد أن جاءته أخبار ذلك عن جبرئيلφ[2]، ولكثرة ما كان رسول اللهν يذكره من مقتل سبطه وظهور الحُزن عليه، صار المسلمون يعرفون هذه الحقيقة القادمة

(١) أفردتُ مبحثًا خاصًا بالبكاء وهو المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م) كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٦، ص٤١٧-٤١٩؛ ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص٧٨؛ أبو العرب، محمد بن أحمد (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م) كتاب المِحَن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٣٨؛ الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ج٨، ص٢٨٥، ج٢٣، ص٢٨٩؛ المفيد، محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ/١٠٢٢م) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيتβ لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص١٢٩.

وانتشرت بينهم، حتى قال عبد الله بن عباس[١]: ((ما كُنّا نشكُّ وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يُقتَل بالطف))[٢].

وتناقلَ الأئمة الأطهارβ تلك الأخبار الخاصة باستشهاد الإمام الحسينφ تذكيرًا للأُمّة وتحذيرًا لها، فكان الإمام أمير المؤمنينφ ذاكرًا لهذا المصاب الجلل في حلّه وترحاله[٣]، وقد رويَ أنهφ، لما مرَّ بأرض كربلاء وهو في طريقه لحرب صفين[٤] نزل بها وقام يُحدّد محط رحال ولده الإمام الحسينφ في قابل السنين، ومصارع الشهداء هنا وهناك[٥]، وصار يبكي لذلك الموقف القادم بكاءً طويلًا وأبكى مَن كان معه[٦].

---

(١) عبد الله بن عباس: ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كان عمره ثلاث عشرة سنة لما توفّي النبيv، وقد عُرِفَ عنه بكثرة علمه وتنوّع ثقافته، فكان عالم بالقرآن واللغة العربية والشعر والأنساب وأيام العرب ووقائعها، وتوفّي سنة (٦٨هـ/٦٨٧م). ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص٣١٥-٣٢١، ج٦، ص٣٢٠-٣٢١.

(٢) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ/١٠١٤م) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ج٣، ص١٩٧.

(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٦، ص٤٢٠؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص١١٠-١١١؛ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٤؛ المفيد، الإرشاد، ج١، ص٣٣٢.

(٤) حرب صفين: حرب وقعت بين جيش الإمام عليφ وبين جيش معاوية بن أبي سفيان سنة (٣٧هـ/٦٥٧م)، وكادت الحرب تنتهي لصالح الإمام عليφ لو لا الخدعة التي لجأ إليها عمرو بن العاص وهي رفع المصاحف، واللجوء إلى التحكيم بين الطرفين، وبذلك انتهت الحرب. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج٣، ص٧٩-١٠٧.

(٥) المنقري، نصر بن مزاحم (ت: ٢١٢هـ/٨٢٧م) وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٣هـ، ص١٤١-١٤٢.

(٦) الصدوق، محمد بن علي (ت: ٣٨١هـ/٩٩١م) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة بقُم، طهران، ١٤١٧هـ، ص٦٩٤.

وبعد استشهاد الإمام الحسينφ مباشرةً، أُقيمت التعزية، والنياحة، ونُصبت المآتم، ولُبسَ السواد، وبُذِل الطعام، وقد فعل ذلك الإمام زين العابدينφ (ت: ٩٤هـ/٧١٢م)[١]، وكان يقول: ((أيُّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليχ دمعة حتى تسيل على خدّه بوّأه الله بها في الجنة غُرفاً يسكنها أحقاباً، وأيُّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيُّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار))[٢]، وكانφ دائم البكاء والحزن على أبيه وأهل بيته، وما وضعَ بين يديه طعامًا ولا شرابًا إلّا أخذته العَبرة واستذكر تلك المصائب العظام[٣]، وهذه رسالة واضحة في التشجيع على إحياء القضية الحسينية، والمبادئ السامية التي اسُتشهدَ من أجلها الإمام الحسينφ، لكيلا تُنسى ويطويها الدهر فتذهب تلك التضحيات الجسام سدىً.

ثم بعد ذلك صار الناس رجالًا ونساءً لا سيما الموالين لأهل البيتβ من أهل الكوفة وغيرهم يشدّون الرحال إلى أرض كربلاء حيث قبر الإمام الشهيد، فهم ما بين قارئ يقرأ، وقاصّ يقص طريقة استشهاد الإمام الحسينφ وأصحابه، ونادب يندب،

---

(١) البرقي، المحاسن، ج٢، ص٤٢٠؛ الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ، ص٣١٥؛ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م) الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م، ج٢، ص٢٩.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٠١.

(٣) الصدوق، الأمالي، ص٢٠٤.

وقائل يقول المراثي بحقّهم، وكانت أخبار هذه الممارسات الإيمانية تصل إلى الإمام الصادقφفيحمد الله تعالى على ذلك الوفود الشيعي المُقيم لتلك المراسم[1].

إنّ تأدية هذه المراسم المرضية عند الأئمة الأطهارβ لم تكن، في حقيقة الأمر، بمنأى عن المنع من قِبَل السلطتين الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) والعباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) في ما بعد، فقد سعى كثير من حُكّام هاتين الدولتين إلى إيقافها[2]، ولكن باءت كل محاولاتهم بالفشل الذريع، فقد كانت المواجهة لذلك التحدي أكبر من قِبل الأئمةβ وشيعتهم، فالإمام الباقرφ (ت: ١١٤هـ/٧٣٢م) كان يُعلّم شيعته كيفية إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسينφ وكان يوصيهم بإقامة المجالس في منازلهم أو وهم نزولاً في كربلاء عند قبر الإمام الشهيد، ومما رويَ في هذا الشأن قوله لأحد أصحابه: ((مَن زار الحسين بن عليχ في يوم عاشوراء من المحرّم حتى يظل عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفَي حَجّة وألفَي عمرة وألفَي غزوة، ثواب كل غزوة وحَجّة وعمرة كثواب مَن حَجّ واعتمر وغزيَ مع رسول اللهν ومع الأئمة الراشدين))، فقال صاحب الإمام: ((جُعلتُ فداك فما لمَن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟))، قالφ: ((إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسلام واجتهد في الدعاء على قاتله وصلّى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثم ليندب الحسينφ ويبكيه ويأمر مَن في داره ممَّن لا يتّقيه بالبكاء عليه ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه وليعزِّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسينφ وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك))،

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٥٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج٥، ص٣١٢؛ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٤٣؛ الطوسي، الأمالي، ص١٦٢، ٣٢٨.

فقال صاحبه: ((جعلتُ فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟))، قالφ: ((أنا الضامن وأنا الزعيم لمَن فعل ذلك))[١]، ففي هذه الرواية دلالات واضحة على أن الإمام الباقرφ كان يُشجّع الموالين على تأدية حقّ الإمام الحسينφ على الأُمّة لا سيما الذين يقرّون له بالإمامة، وأنه لا بد لهم من تأدية ذلك الحق على كلِّ حال سواء مَن استطاع أن يأتيه إلى كربلاء زائراً أو أولئك المعذورين على أن يقوموا باستذكار مصيبته في منازلهم، ويقيموا العزاء ويبكون لعِظَم المصيبة، ثم أنهφ وضع لهم مفردات الزيارة، وهي زيارة عاشوراء[٢] التي تُقرأ إلى اليوم وإلى ما شاء الله تعالى.

وبعد الإمام الباقرφ واصلَ ولده الإمام الصادقφ (ت: ١٤٨هـ/٧٦٥م)، إكمال ما بدأه آباؤه الأطهارβ في إحياء القضية الحسينية وترسيخها في نفوس المسلمين لا سيما الشيعة منهم، فكانφ شديد الاهتمام بإحياء أمر الإمام الحسينφ وقد اتّخذ ذلك الاهتمام صوراً كثيرة، منها إقامته للمجالس الحسينية في داره، وكان يحضر فيها بعض الشعراء فيستنشده الشعر في الإمام الحسينφ وكان يرغب أن تكون طريقة الإنشاد مؤثّرة ومُبكية كما كانوا ينشدون عند قبر الإمام، فيفعل الشاعر ذلك فيأخذ الإمام بالبكاء ويبكي معه النسوة من أهل بيته وهنَّ خلف الستر[٣].

ومن الصور الأخرى التي كان يشدّد عليها الإمام الصادقφ في إحياء ذكرى جدّه الشهيد، هو الحضور اللازم في كربلاء لزيارة الإمام الحسينφ، وكان يُرغّب في ذلك بجملة من الأحاديث التي تبيّن الفضل الكبير لزائره، لا سيما إذا كان على

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) مصباح المتهجّد، ط١، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١م، ص٧٧٢.

(٢) الطوسي، مصباح المتهجّد، ص٧٧٣.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٠٩-٢١٠.

خوف من السلطان[١]، وكما كان أيضاً، وهي صورة أخرى، يحث على البكاء والتباكي على سيد الشهداء، ويذكر أيضاً لشيعته فضل ذلك[٢]، وأمّا هوφ فلم يكن له نظير في الحزن واستذكار المصائب التي حلّت بالإمام الحسين وعياله وأصحابه، فكان إذا هلّ هلال المحرّم اشتدَّ حزنه وعظُمَ بكاؤه، وكان الناس يأتونه من كل مكان يعزّونه بذكرى مُصاب جدّه ويبكون وينوحون معه[٣].

وكان الإمامφ يحثّ شيعته على الحضور عند قبر الإمام الحسينφ ليلة عاشوراء، والمبيت عنده، واستذكار المصاب والبُكاء لأجله، وكان يحث أيضاً على خِدمة الزائرين بسقي الماء، وعدَّ ذلك كمَن سقى معسكر الحسين وشهد معه الحرب[٤].

وكان الإمام موسى بن جعفر الكاظمφ (ت: ١٨٣هـ/٧٩٩م) إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه فإذا حلَّ يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكاءه، ويقول: ((هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين صلوات الله عليه))[٥].

وعلى المنوال نفسه كان الإمام علي بن موسى الرضاφ (ت: ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، يبث مظلومية الإمام الحسينφ وأهل بيته، ويُشجّع البكاء عليهم، ويروي ما حصل لهم، فكان يقول: ((إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يُحرّمون فيه القتال،

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٣٨-٢٤٥.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٠١-٢٠٣.

(٣) الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٩هـ، ج٧، ص٢١٢.

(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣٢٣-٣٢٥.

(٥) الصدوق، الأمالي، ص١٩٠.

فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترعَ لرسول اللهv حرمة في أمرنا.

إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا ، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام))[1].

إنّ هذه النصوص تدل وبكل وضوح، على أن الأئمة الأطهار سعوا في تشجيع شيعتهم على إحياء ذكرى عاشوراء وما يتطلبه ذلك الإحياء من إظهار الحُزن وإسالة الدموع وهما من مصاديق الارتباط العاطفي، وهو حقّ بسيط يجب على الموالي أن يُبديه تجاه صاحب النهضة المباركة، وبهذه الأساليب المارّة الذكر استطاع الأئمة أن يُرسّخوا في نفوس شيعتهم فكرة إحياء الشعائر الحسينية، والارتباط بصاحبها في كل الظروف مهما كلّف الأمر، فعدم المبالاة بمنع السلطة وتهديداتها المستمرة لزائري القبر الحسيني الشريف، وإقامة مراسم العزاء عنده، كان أمراً معروفاً، وإنّا لَنجد ذلك واضحاً في أيام المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) المتشدّد مع آل أبي طالب[2]، فإنه لم يفلح في إيقاف الشيعة عن المجيء لكربلاء وتأدية المراسم العزائية، بالرغم من أنه أرسل قائد جنده لكربلاء لمنعهم من التجمع عند القبر الشريف، وكان ذلك سنة (٢٣٧هـ/ ٨٥١م) ويومها قالوا: ((لو قتلتنا عن آخرنا لما أمسك مَن بقيَ منا عن زيارته))، فرجع خائباً، ثم أن المتوكل أمر بهدم القبر الشريف وحرثه وهدم ما حوله من الدور، وهدّد بالسجن كل مَن يجده عند

---

(١) الصدوق، الأمالي، ص١٩٠-١٩٣.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م) مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، ط٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٤٧٨.

القبر، وذلك في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م)[١]، وإذا كانت هذه الإجراءات التعسفية قد أوقفت الزيارة وإقامة المراسم العزائية فإنما ذلك كان لوقت قصير، وهناك بعض الروايات تؤكّد استمرارية الزحف الشيعي الكبير نحو كربلاء في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي لا سيما في بعض المناسبات الدينية المعروفة[٢].

نستطيع أن نعدَّ القرنين الهجريين الأوّلين وبدايات القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي الأساس لكل الشعائر الحسينية، فوجود الأئمة الأطهار β قد شغل تلك المدة وعنهم صدرت تلك الشعائر وشجعوا شيعتهم على إقامتها، وأمّا ما حصل من تطورات لطقوس أخرى فإن ذلك قد ظهر تدريجياً بمرور الزمن، ولعلّ أول تطوّر حصل في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، هو ظهور اسم النائح الذي كان يُطلق على مَن يُرثي الإمام الحسين φ ويقرأ الشعر على حسابه، وكانت النياحة تنعقد في هيأة تجمعات باسم (النياحة على الحسين)[٣].

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومع مجيء بني بويه[٤] إلى العراق سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، ظهر تطوّر آخر في مراسم العزاء الحسيني، إذ صارت

---

(١) الطوسي، الأمالي، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ/٩٤٠م)، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨، ج١، ص٥٢٥؛ الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الغَيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ١٤١١هـ، ص٢٤٠.

(٣) الشهرستاني، هبة الدين، نهضة الحسين، قدّم له: علي الخاقاني، ط٥، رابطة النشر الإسلامي، كربلاء، ١٩٦٩م، ص١٥٩.

(٤) بني بويه: وهم عماد الدولة أبو الحسن علي، ورُكن الدولة الحسن أبو علي، ومعزّ الدولة أبو الحسن أحمد، وهم أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو، دخلوا العراق وسيطروا عليه سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) وصار الحكم الحقيقي بيدهم مع وجود الخليفة العباسي، وانتهى حكمهم سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) على يد السلاجقة. المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج

التعزية في يوم عاشوراء خارج البيوت على هيأة مواكب[١]، وصار الناس يغلقون الأسواق في يوم العاشر من المحرم، ويُظهرون النياحة على الإمام الحسينφ، وكانت النسوة مسوِّدات الوجوه، يمشين في بغداد وهُنَّ لاطمات نائحات[٢].

ثم تطورت مجالس العزاء عقب النياحة بقراءة المقاتل، وظهر ذلك في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ومن تلك المقاتل المقتل المعروف باسم (اللهوف على قتلى الطفوف) لابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، ومقتل الحسينφ المسمّى (مثير الأحزان) لابن نما الحلي (ت: نحو٦٨٠هـ/١٢٨١م)، وقد أُطلق على أولئك (القرّاء أو قارئ الحسين)[٣].

وقد صارت العادة أن يتم تخصيص كل يوم من الأيام العشرة الأولى من المحرم بقراءة المآتم والمراثي، وقد أطلق هذه الفكرة ابن طاووس، وكان يوصي بقراءة كتاب اللهوف لعرض قصة القتل، وأخذت هذه الفكرة بالتطور وجرت في القرون اللاحقة[٤].

الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٤، ص٢٩٦؛ ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م، ج٧، ص٥.

(١) الشهرستاني، نهضة الحسين، ص١٦١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٥.

(٣) الشهرستاني، نهضة الحسين، ص١٦٠.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يُعمَل مرّة في السنة، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي-مركز النشر-قم، ١٤١٦هـ، ج٣، ص٥٦-٩١. وأيضاً: الجويني، محمد صالح، وآخرون، جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، إعداد: حيدر حب الله، ط١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٤٥ وما بعدها.

واستمرّ التطور في الطقوس العاشورائية آخذًا صورًا أخرى من صور العزاء، فطرأ عليها هذه المرة ظاهرة التطبير[١] (تطبير الرأس)، وقد ذُكر أنها كانت تُمارَس في بعض المدن الفارسية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[٢]، وفي ما بعد أُضيفت لمراسم العزاء التشابيه والتماثيل، وكان ظهورها في القرن المذكور، وظهر لأول مرّة على هيأة حصان مغطى بكفن مُدمّى وفيه بعض النبال يتقدّم مواكب اللطم كأنه حصان الإمام الحسينφ بعد المعركة، ثم توسّع عدد الخيول المشاركة التي كانت ترافق المواكب، كما تم تمثيل شخصيات من الطف، وفي أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، برزت شخصية الإمام الحسين وأخيه العباسχ في صورة تشبيهية ثم تم منع ذلك، وأيضاً كانت في عاشوراء تتقدّم المواكب فرقة من الطبّالة تتبعها الخيول المحلّات بأكسية من الحرير مذهّبة الأطراف، وتطور موكب التشبيه فصار يدخل المرقد المقدس، وكانت تُجرى صورة مصغّرة لمعركة الطف التاريخية وفيها يُلقي الجانبان الهاشمي والأموي الخطب والكلمات نصاً وروحاً، وذلك في اليوم العاشر من المحرم وأمام عشرات الآلاف من الحاضرين [٣]، كما أُضيفَ للطقوس تمثيل نصب الخيام ومن ثم نهبها وحرقها، وأصل هذه المأساة يرجع ليوم الطف، فقد أُحرقت خيام الإمام الحسينφ وخيام أصحابه ونُهِبَت[٤].

---

(١) سأذكر هذه الظاهرة بصورة مفصلة في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٢) الرستم، باقر، التطبير والإشكالية المزمنة، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٠م، ص١٨.

(٣) الشهرستاني، نهضة الحسين، ص١٦٥-١٦٧.

) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٧٥، 4.١٨٣(

هذه هي الجذور التاريخية للطقوس العاشورائية وما حصل فيها من تطور عبر الزمن بتتابع السنين والعصور، وسيكون التفصيل فيها أكثر في ما يأتي من الدراسة.

المبحث الثالث:

الرواية في الطقوس العاشورائية

أخذت القضية الحسينية بصورة عامة اهتماماً كبيراً من قبل أرباب الأقلام المسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى، وذلك لعدة أسباب، منها سببان رئيسان باعتقادي أوّلهما: الثقل الديني والاجتماعي للإمام الحسينφ والذي أكسبه المنزلة الكبيرة في قلوب عامة المسلمين، وآخرهما بشاعة الجريمة التي ارتُكِبَت بحقّه وحق أهل بيته وأصحابه، فهذان السببان كانا كافيين لإحداث صدى كبيرٍ تردّدَ في

الأوساط الإسلامية سيما الطبقة الكاتبة مما أدى إلى ازدحام الأقلام بالكتابة عنه وعن قضيته، ولذلك لا نجد جانباً من جوانبها إلّا وكُتِبَ فيه، ومن هذه الجوانب قضية الطقوس العاشورائية، التي كثُرَت فيها الرواية التاريخية على مرِّ العصور وتنوّعت مصادرها، ومنهجها النقلي، والذي يهمني كباحث هو ما كان من الرواية في المدة المحددة لهذه الدراسة.

ونبتدئ بالقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفيه نالت الرواية الخاصة بالطقوس العاشورائية اهتمام مجموعة من المؤرخين، منهم ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الذي ذكر جملة من الطقوس العاشورائية، وكان ذكره لها يأتي من باب ذِكر ما أحدَثَه البويهيون وشجّعوا عليه الناس لما دخلوا العراق وسيطروا على زمام السلطة، فذكر أن البويهيين أمروا في سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م) بغلق الدكاكين، وإيقاف عمليات البيع والشراء في الأسواق، ودعوا إلى النياحة على الإمام الحسينφ، وأن تُشارِك النساء في العزاء فكُنَّ يخرجنَ لاطمات نائحات، وقد كانت هذه الطقوس يتم تكرارها كل سنة حين يحلّ العاشر من شهر محرّم الحرام، حتى صارت عادة لدى شيعة أهل البيتβ، ولكنها ما كانت تخلُ من بعض الممانعات بسبب حصول بعض المشكلات بين الناس لاختلافهم في العقيدة[١].

وذكر أحد مؤرخي هذا القرن وهو سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) طقسًا عاشورائيًا ضمن حديثه عمّا جرى على رأس الإمام الحسينφ، وهو يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م) أمر نساءه فأقمنَ المأتم على الحسين ثلاثة

(١) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٥، ٢٥٣، ٢٧٨، ٢٨٨، ٦١٠، ج٨، ص٨١.

أيّام[١]، وهذه رواية موضوعة ولا تصح بأيِّ حال من الأحوال، فالقاتل لا يُقيم مأتمًا على مَن قتله لا سيما إذا كان القاتل مثل يزيد المعروف بفسقه وكُفره، وهو القائل بعد قتله للإمام الحسينφ:

لستُ من خندف إنْ لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل[٢]

وإنّما الذي حصل-كما روى سبط ابن الجوزي-أن النساء السبايا لما دخلنَ على نساء يزيد قُمنَ إليهن وصِحنَ وبكينَ وأقمنَ المأتم على الإمام الحسينφ، وذكر جملة من القضايا والأشعار التي فيها الرثاء العظيم لمقتل سيد الشهداءφ[٣].

وكان أحد علماء مدرسة أهل البيتβ ومن رجال هذا القرن قد سعى بكل جهده إلى تقديم الرواية العاشورائية بصورة مُحزنة مُبكية مملوءة بالمشاعر والآهات، وهذا العالم هو ابن نما الحلي (ت: نحو٦٨٠هـ/١٢٨١م) صاحب المقتل المعروف (مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان) وهو واضح من عنوانه في أنه يريد خلق جوٍّ من الأحزان والبكاء على سبط النبي محمدv، فهو يقول في مقدمة كتابه المذكور: ((فنُحْ أيها المُحِب لآل الرسول نَوْح الفاقدة الثكول، وابكِ بالدموع السِّجام على أئمة الإسلام، لعلّك تواسيهم في المُصاب بإظهار الجَزَع والاكتئاب، والإعلان بالحنين والانتحاب...فاسعدوني للنياحة والعويل، واندبوا مَن اهتزَّ لفقده عرش الجليل، واسكبوا العبرات على الغريب القتيل))[٤].

---

(١) سبط ابن الجوزي، يوس بن فرغلي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) تذكرة الخواص، قدّم له: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، (د.ت)، ص٢٦٢.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٢٦١.

(٣) تذكرة الخواص، ص٢٦٥-٢٧١.

(٤) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد (ت: نحو٦٨٠هـ/١٢٨١م) مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان، تحقيق: محمد المعلم، ط١، منشورات المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٣٤هـ، ص١٩-٢٠.

ثم أخذ ابن نما بالتمهيد لذكر الرواية العاشورائية، فذكر جملة من الأحاديث التي فيها حث كبير على البكاء على الإمام الحسينφ وما فيه من الفضل عند الله تعالى، وبعدها قام بذكر ميلاد الإمام الحسينφ ونبذة من حياته في صغره مستذكراً ما جرى من بكاء النبيν وإعلامه للأمة بمقتل سبطه في المستقبل، حتى يصل إلى موت معاوية واستخلاف ابنه يزيد[١]، ثم رَفْض الإمام مبايعة يزيد ورحيله إلى مكة ومكاتبة بعض رجالات الشيعة للإمام بالقدوم إلى الكوفة، ومكاتبة الإمام لأهل العراق، وما جرى بعد ذلك من الأحداث الكثيرة، وصولاً إلى تحرّك الإمام ومجيئه إلى العراق ونزوله بكربلاء، وما جرى بينه وبين الجيش الأموي، وانتهاءً بوقوع المعركة الحاسمة في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ/٦٨٠م) واستشهاد الإمام وعددٍ من أهل بيته وأصحابه، وما جرى عليه وعليهم من السلب والنهب والاعتداء على الأجساد الطاهرة، ثم ما حصل من تأسير لعائلة الإمام ومَن كان معهم، وتسييرهم للكوفة ثم إلى الشام ومن ثم عودتهم من الشام ومرورهم بكربلاء وصولاً إلى المدينة المنورة، وما جرى عليهم من خطوب في الطريق، ثم ما حصل من عقوبات لقاتليهم والمشاركين في حربهم، وظهور علامات الحزن في الكون، وقد قدّم ابن نما ذلك كلّه بطريقة الرواية التاريخية المُرسلة والمشفوعة بالقصائد الرثائية التي هي من إنشاد المؤلِّف نفسه وبعضها لبعض الشعراء الآخرين[٢].

ثم جاء من بعد ابن نما ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) وهو الشخص الذي كان له الأثر الكبير في خلق الظاهرة الطقسية العاشورائية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقد نقل الرواية بطريقته الخاصة وذلك في كتابه

---

(١) مات معاوية في سنة (٦٠هـ/٦٧٩م) واستخلف من بعده ابنه يزيد، واستمرّ الأخير في الحُكم حتى سنة (٦٤هـ/٦٨٣م). ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج٣، ص٢٦١؛ ٢٦٩، ٣٦٢.
(٢) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص٢٣-١٨٣.

الذي أسماه (اللهوف على قتلى الطفوف) وقد وضعه للزائر القادم إلى أرض كربلاء ليحمله معه إلى حيث مشهد الإمام الحسينφ، ويقرأه في العاشر من المحرّم، وهو كتاب ليس بالكبير، فقد راعى ابن طاووس في حجمه وضع الزائر في ذلك الوقت، وقد مهّد فيه للرواية العاشورائية كما مهّد ابن نما قبله، إلّا إنه فصّل في مواضع مثل نزول السبايا في كربلاء بعد عودتهم من الشام، فروى أنهم بعد نزولهم بكوا ولطموا وأقاموا المآتم، وصارت النساء من أماكن مختلفة يأتينَ ويشاركن معهم العزاء، وذكر أحوال أهل البيتβ في المدينة المنورة بعد عودتهم إليها وإقامتهم للعزاء ومواساة الناس لهم[١].

ومن علماء هذا القرن أيضًا عماد الدين الطبري، وقد ذكر بعض الطقوس العاشورائية من قبيل إتيان النساء الشاميات إلى نساء أهل البيت من السبايا وهنَّ في بلاد الشام يُعزّينهن بمصيبتهن، وذكر أن السيدة زينبη هي التي بادرت إلى إقامة العزاء الذي استمرَّ سبعة أيّام، فكان النساء يأتينَ لمجلس العزاء في كل يوم وعددهنَ كثير، ثم إن السبايا لما رجعوا إلى المدينة استقبلهم الرجال والنساء بالبكاء والعويل وأقاموا العزاء على الإمام الشهيد وقالوا فيه الكثير من المراثي[٢].

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، تعرّضَ محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي الحنفي (ت: ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) إلى ذكر الإمام الحسينφ ومصابه، وفي ما يخص الطقوس فإنه ذكر النياحة على الإمامφ وأنها استمرّت ثلاث سنين

---

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص١٢-١٢٢.

(٢) عماد الدين الطبري، الحسن بن علي (من أعلام القرن ٧هـ/ ١٣م)، كامل البهائي، تعريب وتحقيق: محمد شعاع فاخر، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ، ج٢، ص٣٦٧، ٣٧٠-٣٧١.

من يوم استشهاده، وذكر بكاء أصحاب رسول اللهv على حفيده الشهيد واستماعهم لنوح الجن، وذكر زيارة بعض الشعراء لقبر الإمامφ وإنشادهم المراثي بحقّه[١].

ولكن الزرندي كان ذا نظرة مختلفة للطقوس العاشورائية، فقد انتقد إقامة العزاء في عاشوراء وعدّ المعزين من المخطئين والخارجين عن السُنّة ومثلهم في ذلك مثل أولئك الذين اتّخذوا يوم عاشوراء يوم عيد وفرح، ودعا إلى الاكتفاء بالاسترجاع وهو قول: إنا لله وإنا إليه راجعون[٢].

وممَّن ذكر بعض الطقوس العاشورائية من أهل هذا القرن ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، فقد ذكر ما كان يفعله بنو بويه في بغداد وغيرها من مدن العراق في يوم عاشوراء من ضرب الطبول وذرء الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعليق السواد على الدكاكين، وقيام الناس بإظهار الحزن والبكاء، والامتناع عن شرب الماء مواساةً لعطش الإمامφ، وخروج النساء حافيات وهنّ ينحنَ ويلطمن وجوههن وصدورهن[٣].

ولم تتّضح الصورة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، في ما يخص مَن تعرّض لرواية الطقوس العاشورائية، إلّا إشارة وجدتُها عند ابن الصبّاغ المالكي (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، الذي كتب عن الإمام الحسينφ ما نصّه: ((ودُفِنَ بالطف من أرض كربلاء من العراق، ومشهده رضيَ الله عنه معروف يُزار من جميع

---

(١) الزرندي، محمد بن يوسف (ت: ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، تحقيق: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٨٣.

(٢) الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢م، ج٨، ص٢٠٢.

الآفاق والجهات))[1]، وهذه إشارة واضحة إلى أن الطقوس في أرض كربلاء في هذا القرن كانت تُقام عند المشهد الشريف، يقوم بها الناس القادمون من مختلف الأمكنة والبلدان.

وأخذت الرواية للطقوس العاشورائية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مأخذًا من التطوّر في طريقة العرض أكثر من ذي قبل، وصار همُّ الكاتب إثارة الأحاسيس وإبكاء المعزّين هي الهدف الأسمى، من غير تروٍّ في نقل الأخبار والتأكد من صحتها، وقد ظهرت عدّة مؤلفات في هذا القرن، منها ما كتبه حسين بن علي الواعظ الكاشفي (ت: ٩١٠هـ/١٥٠٤م)، الذي ذكر الكثير من الأمور في القضية الحسينية، وفي ما يخص رواية الطقوس فإنه ذكر ما لم يصدّقه العاقل من أن يزيد قام بتعزية السبايا من أهل البيت وتسليتهم، ومن جهة أخرى ذكر سماحه لهم بإقامة العزاء ومجيء نساء الأشراف للتعزية وصارت المراثي تُقال في ذلك المجلس المُعدّ لهذا الأمر، ثم ذكر الحقيقة المعروفة وهي أنهم لما رجعوا للمدينة كان العزاء على أعظم ما يكون والبكاء في أشد ما يكون، والناس يواسون أهل البيت ويعزونهم. وكدعوة من الكاشفي إلى الاستمرار بإقامة المجالس الحسينية والطقوس العاشروائية قال: ((وأملنا بعناية الله وحماية رسول اللهv أن يكون نصيب ذوي المصاب والمحنة في آخر الزمان الذين يحضرون مناحة سيّد الشهداء بعيون عبرى وصدور حرّى، من مواهب الفضل الأحدي وميامين اللطف الأحمدي أتمّ وأكمل وسهمهم أعمّ وأشمل))[2].

---

(١) ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريري، ط١، دار الحديث، قُم، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٨٥٠.

(٢) الكاشفي، حسين بن علي (ت: ٩١٠هـ/١٥٠٤م) روضة الشهداء، ترجمة وتحقيق: محمد شعاع فاخر، مكتبة الحيدرية، (د.ت)، ص٧٤٧، ٧٦٢.

ومن ذلك أيضًا ما كتبه محمد بن أبي طالب الموسوي الحائري الكركي، وهو من رجال التعزية الحسينية في هذا القرن، وكتابه تسلية المُجالِس وزينة المَجالس شاهد على ذلك، فقد خصّص للقضية الحسينية مجموعة مجالس وكان آخرها ما يخص إقامة المأتم الحسيني والطقوس العشورائية، وذكر فيه بعض خطبه التي كان يُلقيها على مسامع الناس في المحرّم، وكان يشجّع على استذكار المصائب التي وقعت على الإمام وأهل بيته في عاشوراء بمجموعة من الأحاديث التي ذكرت فضل ذلك، وبما جادت به قريحته من الكلام المُحزِن والشعر الرثائي المُبكي، وكان يدعو إلى تجديد التعزية الحسينية في كل عام، وإظهار الجزع على رزية الإمام على ممرّ الأيام، وعدَّ ذلك جهادًا، فقال: ((فها نحن نجاهد أعداءك بقولنا وفعلنا، ونقمع هاماتهم بمقامع نَظمنا ونثرنا، ونُعلِن بسبِّ أئمة ضلالهم على أعواد منابرنا، ونشرح قُبح خصالهم في شوامخ منائرنا، ونعتقد ذلك من أعظم الوسائل إلى ربّنا، وأكمل الفضائل يوم حشرنا ونشرنا))[1]، وكان يندب الإمام في كربلاء المقدسة، فقد ذكر ما نصّه: ((قد اجتمعنا في حضرتك الشريفة، وبُقعتك المُنيفة، لنوفي التعزية بمصابك حقّها))[2].

واستمرت الرواية للطقوس العاشورائية آخذة بالضعف مركّزةً على إثارة أحاسيس الناس دون الاستناد إلى الأخبار التاريخية الموثوقة، ولذلك ظهرت بعض الروايات في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، ولم تكن قد رويت من قبل في كتب المتقدّمين، ومن هذه الروايات ما جاء لدى فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) الذي ذكر جانبًا من مصائب الأئمةβ والتعزية فيهم، ومن

---

(١) الحائري، محمد بن أبي طالب (من أعلام ق١٠هـ/ق١٦م)، تسلية المُجالس وزينة المَجالس، تحقيق: فارس حسّون كريم، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قُم، ١٤١٨هـ، ج٢، ص٨٥-٤٥٤.

(٢) الحائري، تسلية المُجالس وزينة المَجالس، ج٢، ص٤٥٣.

ضمنها التعزية الحسينية، متبعًا أسلوبًا مثيرًا للبكاء مجريًا للدموع عبر أسلوب نثري وآخر نظمي وثالث روائي مصوّرًا مَشاهدًا من السيرة الحسينية ويوم عاشوراء وما سبقه وما لحقه وَفق ما أنتجته مخيّلته أحيانًا وكما جاء في الروايات الإسلامية أحيانًا أخرى، وهو يعدّ أول مَن ذكر عرس القاسم بن الإمام الحسنφ، فقد ذكر أن عمّه الإمام الحسينφ عقد له على إحدى بناته في يوم العاشر، ولكن العرس لم يتم لأن القاسم برز للقتال تاركًا زوجته خلفه، وكان ذكره لذلك عبر مجموعة من المجالس التي كان يقرأها في أيام المحرّم الحرام[١]، وبذلك يكون الطريحي قد أضاف طقسًا جديدًا إلى الطقوس العاشورائية، هذا الطقس الذي ما يزال يؤدّى حتى اليوم.

وفي القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تعرّض محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت: ١١٨٢هـ/١٧٦٨م) إلى ذكر قضية تتعلّق بالطقوس العاشورائية ألَا وهي مسألة استئجار شخصٍ يرثي وينوح على مصائب الأئمة الأطهارβ لا سيما رثاء الإمام الحسينφ، كونها كانت مسألة شائعة في أيام المحرّم الحرام على وجه الخصوص كما هي اليوم في عصرنا، وقد أثبت البحراني بدلالة الأحاديث والروايات عن الأئمةβ صحّة هذا العمل وجواز أخذ الأجرة عليه[٢].

وفي القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، روى بعض رجال المنبر الحسيني شيئًا من أخبار الطقوس العاشورائية، منهم كاظم الحسيني الرّشتي الحائري الكربلائي (ت: ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م)، فإنه ذكر أن العزاء والمأتم الحسيني انتشر في وقته في بلدان عدّة ومنها الهند، فأقام الأبرار والفجّار العزاء عليه، وكان

---

(١) الطريحي، فخر الدين بن محمد، المنتخب في جمع المراثي والخطب، ضبط وتصحيح: نضال علي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٣٦٥ وما بعدها.

(٢) البحراني، محمد بن أحمد، رسالة في الاستئجار لرثاء الحسينφ، تحقيق: نهاد الفيّاض، ط١، (د.م)، ١٤٣٨هـ، ص٣٣ وما بعدها.

يدعو إلى رفع الصوت بالبكاء والنحيب على سيّد الشهداءφ وجهر القول في مراثيه[١].

ولعل أشهر مَن يُذكَر في ختام هذا المبحث من رجال هذا القرن الذين كان لهم الأثر الكبير في رواية الطقوس العاشورائية والتشجيع على إقامة العزاء على الإمام الحسينφ هو آغا بن عابد المعروف بالفاضل الدربندي (ت: ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، الذي عُرِفَ بشدّة استذكاره لمصائب أهل البيتβ في كربلاء في كل سنة، وكان يدعو الفقهاء والعلماء والفضلاء إلى إقامة ذكر مصائب سيد الشهداءφ في كل مكان يسكنه الشيعة[٢]، وكان الدربندي قد تناول ذكر جملة من الأمور التي تدخل في باب الطقوس منها: المشي إلى كربلاء، والإنفاق على الزائرين وإطعامهم[٣]، بل ذكر ما كان يُنفَق من الأموال أيام العزاء على ماء الورد والقهوة والتتن[٤]، وشجّع الدربندي على إظهار الجزع للمصاب الجلل، وذكر استحباب دقّ الصدر وضرب الرأس وتمزيق الثياب، وحثو التراب والرماد على الرأس[٥]، وهو من دُعاة التطبير وتطيين الجسد والوجه[٦]، ودعا إلى إكرام قرّاء المراثي وذاكري المصاب وتبجيلهم سواء إكرامًا ماديًا أو معنويًا[٧]، وأنه لا بد من احترام المجلس الحسيني مهما كثُرَ

---

(١) الرشتي، كاظم بن قاسم، أسرار الشهادة المعروف بـ (سر وقعة الطف)، تحقيق: عبد الكريم العقيلي، مؤسسة بنت الرسولν (بضعة المصطفىν) لإحياء تراث أهل البيتβ (د.م)، ٢٠٠١م، ص١٤١-١٤٢.

(٢) الدربندي، آغا بن عابد، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، تحقيق: عباس ملّا عطية، ط١، شركة المصطفى للخدمات الثقافية، المنامة-البحرين، ١٩٩٤م، ج١، ص٤٨٨-٤٨٩.

(٣) الدربندي، إكسير العبادات، ج١، ص٤٢٠-٤٣١.

(٤) الدربندي، إكسير العبادات، ج١، ص٢٣٥.

(٥) الدربندي، إكسير العبادات، ج١، ص١٥٠.

(٦) الدربندي، إكسير العبادات، ج٣، ص٣٣١.

(٧) الدربندي، إكسير العبادات، ج١، ص٢٤١.

الحاضرين فيه أو قلّوا[1]، ونقل بعض الحكايات التي تدل على ممارسة الطقوس التي كانت تُقام في كربلاء، ومنها إقامة بعض العلماء المجالس الحسينية ليلة في كل أسبوع في بيت رجل صالح من أهل كربلاء، وذكر ما كان يقوم به بعض النساء الشيعيّات في بعض البلدان من الطبخ لإطعام الحاضرين المعزّين[2].

بهذه الصورة روى المؤرخون والعلماء الطقوس العاشورائية، وقد رأينا كيف أن كلًّا منهم نقلها بطريقته الخاصة، فمنهم مَن ذكرها عرضيًا في سياق حديثه عن السلطة والتغيُّرات السياسية، ومنهم مَن خصّص كتابه لغرض ذكر الإمام الحسينφ وما أصابه وأهل بيته من البلايا والمصائب، وهذا الصنف من الكُتّاب اختلفوا أيضًا من حيث المنهج النقلي، فمنهم مَن اعتمد الرواية التاريخية وأضاف إليها بعض النثريات والنُّظم التي من شأنها الحزن والبكاء، ومنهم مَن أعطى لمخيّلته مساحة واسعة في إيراد القصص فأدخل في القضية ما ليس فيها، ومَنهم مَن انتقد المعزّين في عاشوراء والطرق التي يتّبعونها في التعزية، ومنهم مَن شجّع على إحياء ذكرى عاشوراء بكل الوسائل المتاحة التي تدخل ضمن الإطار الشرعي باعتقاده، وهذا الصنف أسس لبعض الطقوس ولم تكن موجودة من قبل.

---

(١) الدربندي، إكسير العبادات، ج١، ص٢٤٢.

(٢) الدربندي، إكسير العبادات، ج١، ص٢٤٣.

الفصل الثاني:

المبحث الأول: أهداف الطقوس العاشورائية

المبحث الثاني: البكاء في الطقوس العاشورائية

المبحث الثالث: المآتم في الطقوس العاشورائية

المبحث الأول:

أهداف الطقوس العاشورائية

إن الطقوس العاشورائية ليست كأية طقوس أخرى تمارسها جماعة من الجماعات البشرية، فهذه الطقوس في كثير من صورها تسعى عبر الممارسة العلنية إلى تحقيق جملة من الأهداف السامية على مستويات عدّة.

فأوّل هدف يمكن أن يتراءى أمامنا هو إبقاء القضية الحسينية حيّةً ليبقى الدين قويًّا عزيزًا، وإنما تبقى القضية دائمة الحياة باستذكارها والتعريف بمضامينها الإنسانية وأهدافها الإصلاحية على المستوى الفردي والمجتمعي، والطقوس يجب أن تؤدي هذا الدور بمختلف الصور والأساليب التي تمارسها الجماعة المؤمنة بمبادئ النهضة الحسينية، فهي وسيلة إعلامية مهمة للتعريف بتلك الأهداف، ولهذا أولى الأئمةβ قضية الإمام الحسينφ عناية خاصة، ونجد ذلك واضحًا من خلال تأكيدهم على ضرورة إحياء ذكرى عاشوراء[1] وما تحمله من مظلومية مهما كلّف الأمر من تضحيات، مع الحث الشديد على زيارة صاحب القضية، فورد في حديث للإمام

(١) ينظر: ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣٢٣-٣٢٦.

الصادقφ أن الشيعي يكون منتقص الإيمان والدين إن لم يزُر قبر الإمام الحسينφ وإذا دخل الجنة فإنما تكون منزلته دون بقية المؤمنين الذين يزورون القبر الشريف[١]، وفي روايات أخرى كثيرة يُشدّد الإمام الصادقφ على ضرورة إتيان الشيعة وزعمائهم إلى كربلاء حيث قبر سيد الشهداء، ولا يُعذَر أحد في ذلك، لخوفٍ من سلطان أو لبُعد المسافة أو لكثرة أعماله، فمَن كان كذلك فعليه أن يزوره من داره[٢].

وتعمل الطقوس على إدامة الحيوية للقضية الحسينية عبر الأساليب والممارسات التي تؤديها الجماعة بمختلف الصور والرموز التعبيرية والكلمات التي يطلقها قاصدو القبر الشريف، عبر الشعر والندب وقراءة المقتل، وأن ما يصاحبه من بكاء ولبس السواد وتمثيل دور شخصيات عاشوراء يزيد في إيضاح الصورة ويرسّخها في أذهان الأجيال، وإذا كانت الأخيرة أمور تم استحداثها في القرون المتأخرة، فإن هناك بعض الطقوس التي كانت تؤدّى في كربلاء حيث القبر الشريف للإمامφ لها جذور ضاربة في عصر الأئمة β، وهذا ما نجده في كلام الإمام الصادق φ الذي وصلته أخبار بعض تلك الطقوس وذكرها بقوله: ((بلغني أن قومًا يأتونه من نواحي الكوفة وناسًا من غيرهم، ونسأ يندُبْنه...فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي))[٣]، وقد نالت هذه الممارسات الإيمانية (الطقوس) إعجاب الإمام الصادقφ، لأن فيها تحقيق لبعض أهداف الدين في النهضة الحسينية وتمثل ردًّا واضحًا على أعداء تلك النهضة الإسلامية، لذلك أعقبَ الإمام تلك الكلمات بكلامٍ هذا نصُّه: ((الحمد لله الذي جعل في الناس مَن يفد إلينا ويمدحنا

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣٥٥.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٤٢-٢٤٣، ٣٥٥، ٤٩٠-٤٩٦.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٥٣٩.

ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يطعن عليهم من قراباتنا وغيرهم، يهدرونهم ويُقبّحون ما يصنعون))[١].

إذن إن الزيارة وما يصاحبها من طقوس إنما هي وفادة إلى أهل البيتβ وإلى الله تعالى، وهنا يكمن الجانب الديني الخالص لوجه الله عز وجل، فالنهضة الحسينية نهضة إلهية خالصة أحيَت الدين وقوّت أركانه، وهدمت بُنيان الظالمين وكشفت حقائق أفعالهم ضد الدين وأهله، ولذلك صار الحضور في كربلاء عند قبر سيّد الشهداءφ له تلك الخصوصية التي لا مثيل لها، حتى ورد عن الإمام الصادق φ أن الله تعالى ينظر عشيّة عرفة إلى زوّار قبر الإمام الحسينφ ويغفر لهم ويقضي حواجهم قبل أن ينظر إلى زوّار بيته الحرام في يوم عرفة[٢].

وعلى المستوى الفردي، تعمل تأدية الطقوس على تهذيب الشخصية وتثقيفها بالثقافة الإسلامية، مع ما لتلك الممارسات المختلفة من آثار دنيوية وأخروية ينالها الفرد المؤمن بالقضية، لأن تأدية الطقوس العاشورائية في حقيقة الأمر لها أثران رئيسان، أحدهما يتبيّن في دار الدنيا، والآخر في دار الآخرة، وتُعرَف هذه الحقيقة من جملة الأحاديث والروايات الواردة عن الأئمة الأطهار β الذين أكثروا من التشديد على تأدية تلك الممارسات الشعائرية، ولكنها تأدية عن معرفة وثقافة وطهارة قلبية وبدنية، لذلك تكرّرت الأحاديث في أن زائر الإمام الحسينφ يجب أن يكون عارفًا بحقّه غير جاحد لإمامته[٣]، وهذه مسألة مهمة ينبغي أن يلتفت إليها مؤدّوا الطقس العاشورائي، ليكونوا على بيّنة من أمرهم.

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٥٣٩.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣١٧-٣١٨.

(٣)ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٧٥، ٢٦٦.

وكذلك يلزم الفرد المُريد لتأدية الزيارة والطقوس الأخرى، أن يتحلّى بالآداب والتعاليم الإسلامية الأصيلة، التي ذكرها الإمام الصادقφ لأحد أصحابه، فإنه قال: ((يلزمك حسن الصحابة لمَن يصحبك ويلزمك قلة الكلام إلّا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغُسل قبل أن تأتي الحائر، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على محمد وآل محمد، ويلزمك التوقير، [أو التوقّي] لأخذ ما ليس لك، ويلزمك ان تغض بصرك، ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيتَ منقطعًا والمواساة، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها، والورع عمّا نُهيتَ عنه، والخصومة، وكثرة الأيمان، والجدال الذي فيه الأيمان، فإذا فعلتَ ذلك تم حجُّك وعمرتك، واستوجبتَ من الذي طلبتَ ما عنده بنفقتك واغترابك عن أهلك ورغبتك فيما رغبتَ أن تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان))[1].

ومن هنا تتبيّن تلك الأهداف المهمة للطقوس، في أنها تهذيب للشخصية ورفع لمستوى الإنسان حتى يصل إلى الدرجة التي تجعله صالحًا ونافعًا لا يحمل الشرّ ولا يؤدّي إلّا الخير ويبتعد عن الأمور التي تحطّ من منزلته.

وكذلك وعلى المستوى الفردي وفي مجال البكاء، وهو ظاهرة بارزة تُصاحب الطقوس العاشورائية، ينال الباكي على الإمام الحسينφ أجرًا عظيمًا ومنزلة عالية، وهذه من أهداف الطقوس، فعن الإمام زين العابدين φ أنه قال: ((أيُّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليχ دمعة حتى تسيل على خده بوّأه الله بها في الجنة غُرفًا يسكنها أحقابًا، وأيُّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله بها في الجنة مبوّأ صدق، وأيُّما مؤمن مسّه أذى فينا

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٥٠-٢٥١.

فدمعت عيناه حتى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار))[١].

وورد عن الإمام الصادقφ قوله: ((مَن ذكر الحسين φ عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عز وجل، ولم يرضَ له بدون الجنة))[٢].

فإذا كان البكاء ينفع الباكي هذه المنفعة، فإن له هدف آخر وهو إظهار مظلومية صاحب القضية ونشرها في الوسط المجتمعي عبر الدمعة والصرخة، وهو ظاهرة ميّزت أتباع أهل البيتβ، ومن أهدافها إثارة الرغبة في استرداد الحق المغتصب أو إثارة الرغبة في أخذ الثأر والانتقام من الظالم الذي سبّب تلك المأساة الكربلائية وكل مَن سار على نهجه[٣].

كذلك ينعم الفرد بجملة من الميّزات ويحقّق الأهداف الثمينة حين يؤدّي الطقس العاشورائي المشتمل على الزيارة وغيرها من الممارسات الإيمانية، فهو فضلًا عن حصده الثواب ورضا الله تعالى، فإنه ينال الرزق الواسع، ويُبارَك له في ما أنفقه من أموال خدمة لتلك القضية، ويُطال في عمره، وإذا مرض كان الملائكة الموكّلين بقبر الإمام الحسينφ عوّاده، وإذا مات شيّعوا جنازته وترحّموا عليه[٤].

وعلى المستوى الاجتماعي، فإن الطقوس التي تؤديها الجماعة المؤمنة تبعث رسائل كثيرة لكل مَن يشاهدها ويسمع بها، فرسالة التطبير –مثلًا– تُعَد من أبرز معالم

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٠١.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٠١.

(٣) الحلو، محمد علي، الظاهرة الحسينية، ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١١، ص١٩.

(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٧٥–١٧٦، ٢٤٠.

التضحية العاشورائية التي ألهبت المشاعر وأحالت الرمزية العاشورائية إلى تمحور تضحوي يتمحور من خلاله شعور المشارك حول الفداء وبذل النفس، فإخراج الدم من رؤوس المشاركين بمحض إرادتهم يدل على الرغبة في إظهار الجانب التضحوي بفدائية متميزة يثبت من خلاله استعدادهم لبذل النفس متى ما تطلب الأمر الدفاع عن المبادئ[١].

وظاهرة لطم الصدور التي هي الأخرى تُمارسها الجماعة في عاشوراء والمناسبات الحزينة الأخرى، هي عملية نقل لمشاعر المشاركين وإظهار حزنهم إلى الخارج عن طريق الضربات الإيقاعية المبدعة التي تنمّي قابلية التضحية وشعور الفداء لدى مؤدّي هذه الممارسة[٢].

ومن الأهداف الأخرى التي تبرز واضحة في الطقوس العاشورائية، هو خلق روح التكافل الاجتماعي، الذي يتمثّل في صور عدّة، ومنها صورة بذل الطعام والسقي لجموع المشاركين، وقد اهتم أئمة أهل البيتβ في تعزيز هذه الروح، حتى ورد أن الإمام زين العابدينφ كان يصنع الطعام للمأتم الحسيني بنفسه[٣]، وحثَّ الإمام الصادقφ الشيعة على سقي الماء للزائرين فقال: ((مَن سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسينφ كان كمَن سقى عسكر الحسينφ وشهد معه))[٤].

والاجتماع هو بحد ذاته هدف آخر من أهداف الطقوس، لما فيه من تعزيز قوّة الآصرة بين المشاركين والتقاء بعضهم ببعض، وقد ورد أن الإمام الصادقφ كان يُحِب تلك الاجتماعات التي يُذكر فيها أهل البيت ومصائبهم والتفاعل معها، ومن

---

(١) الحلو، الظاهرة الحسينية، ص١٦.

(٢) الحلو، الظاهرة الحسينية، ص١٦.

(٣) ينظر: البرقي، المحاسن، ج٢، ص٤٢٠.

(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣٢٤-٣٢٥.

أحاديثه في هذا الشأن قوله: ((إن تلك المجالس أحبُّها، فأحيوا أمرنا، إنه مَن ذَكَرَنا وذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذبابة غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر))[١].

وتاريخياً، حقّقت الطقوس الهدف المذكور وهو تعزيز قوّة الآصرة بين الجماعة، فقد رويَ أن المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) لما وصله خبر زيارة الشيعة قبر الإمام الحسينφ والاجتماع عنده، وذلك في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)، أمر أحد قادته بتخريب قبر الإمام وتشتيت الجمع، فلما شرع ذلك القائد بتنفيذ الأمر كان رد الجماعة ((لو قتلتنا عن آخرنا لِما أمسكَ مَن بقيَ منّا عن زيارته))[٢].

إذن، كان لهذه الطقوس آثارها الجلية في تنمية إيمان الفرد الشيعي وتهذيبه أخلاقيًا وروحيًا وعاطفيًا، فضلًا عن أثرها في إحباط مساعي الحكومات الجائرة لطمس حقائق النهضة الحسينية أو تشويه صورتها في أذهان الناس عبر المرتزقة من المتاجرين بالدين ووعّاظ السلاطين، فقد أدّت هذه الطقوس دورًا مهمًا في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية وحتى السياسية، وأحبطت مسعى الحكومات لتحريف التاريخ والشطب على كل حدث غير طبيعي فيه، والإحياء للأجيال القادمة بأن التاريخ مرَّ على أحسن ما يُرام وكأن شيئًا لم يحدث فيه أبدًا[٣].

وتأكيدًا لأهمية إحياء ما جرى على أهل البيت في عاشوراء، من حرق للخيام ونهبها، وترويع للنساء والأطفال، وسبي آل محمد وحملهم على الأباعر الهزَّل وتقييد

---

(١) الصدوق، ثواب الأعمال، ص١٨٧.

(٢) الطوسي، الأمالي، ص٣٢٨.

(٣) الأبيض، مهتدي، اجتماعية التدين الشعبي، دراسة تأويلية للطقوس العاشورائية، ط١، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٧م، ص٧٩.

إمامهم بالحديد، وحمل صحيحهم وسقيمهم من بلد إلى بلد وسوقهم كما يُساق الأسرى[١]، يُقيم المؤمنون المؤدّون للطقوس في كربلاء يوم عاشوراء وغيره جملة من المشاهد التاريخية تلك، عبر أسلوب التشبيه لإعادة الصور المؤلمة التي مرّت إلى أذهان الناس لتبقى شاهدًا على ظُلم الظالمين بحق تلك النخبة المسلمة التي أرادت إحياء الدين والعمل به.

ولا شكّ أن التشبيه، هدفه واضح في أنه أبلغ من المآتم في تصوير الواقعة وإحيائها، وإظهار مظلومية أهل البيتβ في عاشوراء، وأشد تأثيرًا في القلوب من الأقوال المجرّدة على المنابر[٢]، فمثلًا: موكب السلاسل وهو ضرب الرجال ظهورهم بدلًا من ضرب الأيدي على الصدور، وموكب القامات وهو ضرب مقدَّم الرؤوس بالسيوف والقامات، هدفهما التعبير عن أعلى مقادير الحزن، وهما في الوقت الذي يعبّران فيه عن العزاء، فإنهما تمثيل للرزية من جهة أخرى[٣].

ومن الأهداف الأخرى التي يحصدها المشاركون المؤدّون للطقوس باختلاف صورها، هو أنها تؤثّر في حيويتهم ونشاطهم، لأن فعالياتهم وممارساتهم في إحيائها نشيطة جدًا، وملفتة للنظر، كما هو الظاهر للعيان، وأن استمرار هذا الإحياء سواء

---

(١) ينظر: ابن طيفور، أحمد بن طيفور (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م) بلاغات النساء، انتشارات الشريف الرضي، قم، (د.ت)، ص٣٥-٣٧؛ المفيد، محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الأمالي، تحقيق: حسين الأستاد ولي، وعلي أكبر الغفاري، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م، ص٣٢٠؛ ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/١١٩٢م) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: نخبة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م، ج٣، ص٢٥٩، ٢٦١؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٨٣٠.

(٢) المظفر، حسن بن عبد المهدي، نُصرة المظلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص٢٥.ص٢٧.

(٣) المظفر، نصرة المظلوم، ص٥٧-٥٩.

في مناسبات الحزن أو الفرح على مدار السنة، يجعلهم في عطاء مستمر، وحركة دائمة، فضلًا عن أن تلك الطقوس سببًا مهمًا لجمع شملهم وتماسكهم، وتثبيت وحدتهم، وتقوية روابطهم، وتثبيت هُويتهم العقدية في تولّي أهل البيتβ ومَن والاهم والتبرّي من أعدائهم، كما أن لها أثرًا في تثقيف جمهورهم بالثقافة العامة، والثقافة الدينية والمذهبية الخاصة[١].

(١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف أبعادها. ثمراتها. توقيتها، ط٣، دار الهلال، ٢٠١٠م، ص٤٢٧-٤٢٩.

المبحث الثاني:

البكاء في الطقوس العاشورائية

من المعلوم أن الطقوس العاشورائية هي طقوس حُزن لا فرح، فيها يتم استذكار كل موقف أليم ألمَّ بالإمام الحسينφ وأهل بيته الطاهرين وتلك النخبة التي خرجت معه على الظالمين، وإذا ما عرفنا أن المصاب جَلَل والحُزن شديد فلا غرابة في أن ما يُصاحب الطقوس التي هي إمّا: زيارة أو قراءة المقتل، أو إنشاد الشعر، أو ممارسة الفعاليات المختلفة من لطم الصدور والتطبير وضرب السلاسل وغير ذلك، سيكون مصطحبًا بالبكاء الذي هو ظاهرة إنسانية يشترك فيها جميع بني البشر، وهي فطرة جعلها الله تعالى فيهم، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[1].

ونقل لنا القرآن الكريم صورةً مؤلمة لذلك الموقف الذي تعرّض له أحد أنبياء الله عز وجل، ذلك الموقف الذي جعله في أشد حالات الحُزن، وتلك الصورة هي ما تعرّض له النبي يعقوبφ الذي فقدَ ولده يوسُفφ سنوات كثيرة، فبكى عليه حتى أثّر ذلك في عينيه فأصبح فاقدًا لبصره، قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2].

ونقرأ مشاعر الحزن والبكاء في سيرة النبي الأكرم π، وسيرة الأئمة الطاهرينβ، فالنبيπ لما شاهد ولده إبراهيم يجود بنفسه واضعًا إيّاه في حجره، بكى عليه ودمعت عيناه وهو يقول: ((تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما لا يُرضي الرب، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون))[3].

---

(١) سورة النجم، لآية: ٤٣.

(٢) سورة يوسُف، الآية: ٨٤.

(٣) المدائني، علي بن محمد (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) التعازي، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٢٣.

وتجدّدت أحزان رسول اللهπ مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت حزنًا على حفيده الإمام الحسينφ فقد كان يبكي عليه كثيرًا بعدما أخبره الوحي أن ابنه هذا سوف يُقتَل بأرض كربلاء[١].

وبكى الإمام أمير المؤمنينφ على ولده الإمام الحسينφ، ومما يروى أنه لما مرَّ بأرض كربلاء ونزل بها ذكر لمَن كان معه مصرع ولده فبكى بكاءً طويلًا وبكوا معه[٢]، وكان الإمام يقول في حق ولده الحسين: ((يا عبرة كل مؤمن))[٣]، وكان الإمام الحسينφ يقول عن نفسه: ((أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكى))[٤].

هذه لمحة على ما ذُكرَ من البكاء على الإمام الحسينφ في حياته، وأمّا بعد استشهاده فلم يرد في أحدٍ ما ورد فيه من البكاء عملًا وقولًا، وفي حقيقة الأمر، لم يكن بكاء الأئمة لسبب عاطفي فقط، وإنما كانت الدمعة إعلان عن مظلومية الإمام الحسينφ وتذكير للأُمّة بما جرى عليه وعلى الذين استُشهدوا معه، ولذلك استمرّ البكاء وصار ظاهرة تصحَب كل فعالية عاشورائية وغيرها من مناسبات الحزن على سيّد الشهداء، وقد تم ترسيخ هذه الظاهرة عبر التأكيد المتكرر للأحاديث التي شجّعت على إسالة الدموع، وكذلك عبر إقامة المجالس عند القبر الشريف أو في المنازل، بل كان بعض الأئمة يستثمرون أبسط الأمور للتذكير بالقضية الحسينية، فالإمام زين

---

(١) ينظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٦، ص٤١٧-٤١٨؛ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٢، ص٧٨؛ الخزاز القمي، علي بن محمد (ت: ق٤هـ/ ق١٠م)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، الخيام، قم، ١٤٠١هـ، ص١٨٨.

(٢) ينظر: الصدوق، الأمالي، ص٦٩٤.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٤.

(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٦.

العابدينφ بكى على أبيه عشرين سنة أو أربعين، حتى عُدَّ من البكائين الخمسة[١]، وما كان يوضَع بين يديه من الطعام إلّا بكى، حتى قال له أحد مواليه: ((جُعلتُ فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: "إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة لذلك))[٢].

وذات مرة رأى أحد موالي الإمام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: ((يا مولاي يا علي بن الحسين أمَا آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه وقال: "ويلك–أو ثكلتك أمك– والله شكى يعقوب إلى ربّه في أقل ممّا رأيتُ حتى قال: Πيَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَO إنه فقدَ ابنًا واحدًا وأنا رأيتُ أبي وجماعة أهل بيتي يُذبّحون حولي"))[٣].

وترسيخًا لشعيرة البكاء وإسالة الدمعة على سيّد الشهداء، كان الإمام الباقرφ يقول: ((أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسينφ دمعة حتى تسيل على خدّه بوّأه الله بها غرفًا في الجنة يسكنها أحقابًا))[٤].

وكانت كربلاء تشهد في أيام من السنة لا سيما في عاشوراء أجواءً من الحزن الشديد وممارسة مختلف الطقوس التي تسيل لها الدمعة ويحترق لها القلب، وقد نُقِلَت هذه المشاهد عند قبر الإمام الحسينφ إلى الإمام الصادقφ فصار يدعو لزائري القبر الشريف، إكرامًا لهم على ما خالفوا به الأعداء الذين قطعوا الوصال مع أهل البيتβ، ولِما لاقوه أولئك الزوّار من غربة الأهل والوطن وتعب الطريق وما أنفقوه

---

(١) وهم: آدم، ويعقوب، ويوسُف، وفاطمة، وعلي بن الحسينβ. الصدوق، الأمالي، ص٢٠٤.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٣؛ الصدوق، الأمالي، ص٢٠٤.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٣–٢١٤.

(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٠٧.

من الأموال، وكان من ذلك دعائه في سجوده: ((اللهم...ارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد اللهφ، وارحم تلك الأعيُن التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا))[١].

ونلحظ من هذه الكلمات المنقولة عن الإمام المعصوم، أن الطقوس كانت تشهد أنواعًا غير طبيعية من البكاء، وهي التي عبّر عنها الإمام بـ (الصرخة)، وهي: صيحة شديدة عند فزعةٍ أو مصيبة[٢]، فإليك أن تتخيّل هذا المشهد مع ما كان من المشاهد الأخرى، فهم ما بين مُقلّب خدّيه على تراب القبر الطاهر، وما بين مُحترق القلب، وما بين مسيل لدموعه، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا بأن الإمام الصادقφ قد أشعل أجواء كربلاء بالحزن والبكاء من كثرة ما حدّث الشيعة يوم ذاك بفضل البكاء على جدّه أبي عبد اللهφ، ومن ذلك قوله لأحد أصحابه: ((إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحًا بالدم، وأن الأرض بكت أربعين صباحًا بالسواد، وأن الشمس بكت أربعين صباحًا بالكسوف والحمرة، وأن الجبال تقطّعت وانتثرت، وأن البحار تفجّرت، وأن الملائكة بكت أربعين صباحًا على الحسينφ، وما اختضبت منّا امرأة ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عَبرة بعده، وكان جدّي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له مَن رآه، وأن الملائكة الذين عند قبره لَيبكون، فيبكي لبكائهم كل مَن في الهواء والسماء من الملائكة))[٣].

---

(١) الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٨٢-٥٨٣.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م) كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قُم، ١٤١٠هـ، ج٤، ص١٨٥ (المادة: صرخ).

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٦٧-١٦٨.

وكانت هناك إسهامات شخصية للإمام الصادقφ بعقد المجالس الحسينية في داره، فهو لم يكتفِ بذكر الأحاديث بل كان يحضر بين يديه الشعراء المؤجّجين للمشاعر، المنشدين في جدّه ما يُحرق القلب من الأبيات، وقد ورد في ذلك ما يؤكّد هذه المعاني، فقد رويَ عن أحد الشعراء أنه دخل على الإمام الصادق φ فقال له: ((أنشدني))، فأنشده بطريقة ليست كما هي عند القبر الشريف بكربلاء، فقال له الإمام: ((لا، كما تنشدون وكما تُرثيه عند قبره))، فأنشده:

امرُرْ على جَدَث الحسين فقُلْ لأعظمه الزكية

قال الشاعر: ((فلما بكى أمسكتُ أنا، فقال: "مُر"، فمررتُ، قال: ثم قال: "زدني زدني"، قال: فأنشدتُه:

يا مريم قومي فاندبي مولاكِ وعلى الحسين فاسعدي ببكاكِ

قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلما أن سكتنَ قال لي: "مَن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة" ثم جعل يُنقِص واحدًا واحدًا حتى بلغ الواحد فقال: "مَن أنشد في الحسينφ فأبكى واحدًا فله الجنة"، ثم قال: "مَن ذكره فبكى فله الجنة"))[1].

وتأكيدً على أهمية الشعر في القضية الحسينية، لما له من تأثير عاطفي في تأجيج المشاعر وإيصال المظلومية إلى الوسط الإسلامي وأن الدمعة والصرخة يومذاك كانت نوع من أنواع الثورة ضد الظالمين، كان الإمامφ يقول: (("مَن أنشد في الحسين بيت شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة، ومَن أنشد في الحسين بيتًا فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة"، فلم يزل حتى قال: مَن أنشد في الحسين بيتًا

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١١-٢١٢.

فبكى أو تباكى فله الجنة))[1]، وأمّا هوφ فقد كان إذا شرب الماء يستعبر وتغرورق عيناه بدموعه[2]، وكما ذكرنا سابقًا أن الناس كانوا يأتونه من كل مكان يعزّونه بذكرى مُصاب جدّه ويبكون وينوحون معه[3].

واستمر البكاء على الإمام الحسينφ مدوّيًا في بيوت أهل البيتβ، ففي رواية واحدة يتبيّن عِظَم المصيبة عن الإمامين الكاظم والرضاχ، لا سيما في شهر محرم الحرام وتحديدًا في العاشر منه، قال الإمام الرضاφ: ((إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يُحرّمون فيه القتال، فاستُحِلَّت فيه دماؤنا، وهُتِكَت فيه حرمتنا، وسُبِيَ فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضْرِمَت النيران في مضاربنا، وانتُهِبَ ما فيها من ثقلنا، ولم ترعَ لرسول اللهν حرمة في أمرنا. إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلَّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء يحط الذنوب العظام". ثم قالφ: "كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكًا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه)"))[4].

لو تأمّلنا في كلمة واحدة من كلمات هذا النص، وهي (أقرح) لكان فيها الكفاية للدلالة على كثرة بكاء أهل البيتβ، فالتقرُّح في الجفون أي: تجرّحها وما ينتج

---

(١) الصدوق، ثواب الأعمال، ص٨٤-٨٥.

(٢) ينظر: الكليني، الكافي، ج٦، ص٣٩١.

(٣) ينظر: الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٧، ص٢١٢.

(٤) الصدوق، الأمالي، ص١٩٠-١٩١.

عنها من الألم[١] لا يحصل ما لم يكن البكاء بكثرة، وهذا هو سرّ بقاء هذه الشعيرة ذات الأساس المتين حتى اليوم في الطقوس المختلفة التي يؤديها المعزّون.

إن البكاء في الطقوس العاشورائية وغيرها من المناسبات الحزينة، ليس تأنيبًا للضمير كما حاول أن يفهمه أعداء الشعائر والطقوس الحسينية، وإنما هو ناشئ من فرط المودة لأهل البيتβ لمصابهم بالإمام الحسينφ والمعرفة الإيمانية بفضائلهم ومقاماتهم عند الله تعالى وفي الدين، وناشئ من شدّة الاستياء لقبح ظلم الظالمين لهم، وهتك حُرمة الله تعالى وحرمة الرسولν فيهم[٢]، هذه الحُرمة المهتوكة صوّرها الإمام الرضاφ بقوله لأحد أصحابه: ((إنْ كنتَ باكيًا فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالبφ، فإنه ذُبحَ كما يُذبَح الكبش))[٣].

إذن، فالبكاء على الإمام الحسينφ هو تعبير عن حزن وألم ممض بفقدان عزيز يحبّه، وهو في الوقت نفسه رثاء له وعزاء للباكي، وتنفيس عمّا في صدره مما أصابه من كرب وكدر، ومن هنا فإن أغلب قرّاء المجالس الحسينية وشعراء المواكب الحسينية يستدرّون الدموع للبكاء على الإمام والنواح عليه[٤]، وذلك إمّا عبر قراءة المقتل، والذي ظهر-كما مرَّ- في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وزعيمه ابن طاووس الذي يقول: ((اللهم إننا نقرأ هذا المقتل عليك...هلمّوا واسمعوا ما جرى على ابن خير الورى، وارفعوا أصواتكم بالندب على ملوك أئمة القرى، واسبلوا العيون بالدموع...فهل من باكٍ يندب على الإسلام والإيمان، وهل من مواسٍ

---

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ، مج٢، ص٥٥٧ (المادة: قرح).

(٢) الموسوي، رياض، البكاء على الحسينφ وأثره في تكامل النفس والمعرفة (بحوث آية الله الشيخ محمد السند)، ط١، مركز الأمير φ الثقافي، النجف الأشرف، ٢٠١٣، ص٨٤.

(٣) الصدوق، الأمالي، ص١٩٢.

(٤) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٣١٦.

لملوك الأزمان، وهل من شاكٍ لكفران الإحسان، وهل معين على النياحة والعويل، وهل من جواد بالدمع على القتيل، وكيف يُغنِي شقّ الجيوب عن شقّ القلوب لسفك دماء الأحبّة بأرض الغربة، وسلب مصونات الأبدان وتركها عارية بغير أكفان، ومَن ذا يتخلّف عن المواساة للملوك الهُداة، ومَن يؤثر أن يكون محمد في مجلس العزاء مع الأنبياء والأولياء، على مصابه بثمرة فؤاده بمخالفة مراده، وبتلف ما جاء به من الشريعة، وبما تجدد من الأمور الفظيعة، ولا يشاركه في عزائه والبكاء على ذريته وأبنائه))[1].

أو يكون البكاء بإثارة العواطف عبر قراءة أبيات من الشعر الشعبي تصوّر المأساة، أو قراءة القصائد المملوءة بالصور الحزينة، مثل قصيدة (جابر يا جابر ما دريت بكربلاء اشصار من شبّوا النار) لشاعرها الشعبي كاظم المنظور الكربلائي (١٣٠٩-١٣٩٤هـ/١٨٩١-١٩٧٤م)[2].

وإنّ من أرق الأبيات الشعرية المعبرة عن أهمية الحزن والبكاء على الإمام الحسينφ ما كُتِبَ على لافتة كبيرة وبحروف سوداء بارزة عُلّقت في صدر قاعة كبيرة لأحد مواكب العزاء الحسيني في كربلاء-هذه الأبيات:

شيعتي ما إنْ شربتم عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بقتيل أو جريح فاندبوني

وصوّر الشيخ محمد علي الأعسم (١١٥٤-١٢٣٣هـ/١٧٤١-١٨١٧م) حزنه وألمه وبكاءه على الإمام الحسينφ بأنه لأجله فقط وليس لطلب الثواب، فقال:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنها عيني لأجلك باكية

---

(١) ابن طاووس، الإقبال بالأعمال، ج٣، ص٥٧، ٦٢-٦٣.

(٢) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٣١٧.

تبتل منكم كربلاء بدم ولا تبتل مني بالدموع الباكية

وكما مرّ، صوّرت بعض كتب المقاتل وقرّاء العزاء الحسيني وكذلك بعض قصائد الشعر الشعبي الحسيني، مشاهد من واقعة الطف بكربلاء بشكل تصويري دقيق، ولكنه قاسٍ ومؤلم، مثل عطش الطفل الرضيع وقطع الماء عنه وقتله بسهم، من أجل إثارة عواطف المشاركين في العزاء واستدرار دموعهم[١].

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٣٢١-٣٢٢.

المبحث الثالث:

المآتم في الطقوس العاشورائية

ممّا هو ملفت للنظر في اللغة أن المآتم التي هي جمع مأتم، أنها كلمة لا تختص بالحُزن، فالمأتم عند العرب في الأصل: مجتمع الرجال والنساء في الغمّ والفرح[1]، ومَن يقول: كُنّا في مأتم فلان، يعني كُنّا في مصيبة، وهذا قول العامّة،

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص٣ (المادة: أتم).

والصواب أن يُقال: كُنّا في مناحة فلان[١]، ثم أن الكلمة صارت تستعمل لاجتماع النساء من أجل التعزية خاصة[٢].

وحين يكون البحث في المآتم الحسينية، فلا شكّ بأن المقصود هو إقامة التعزية على سيد الشهداءφ، وقد عرَّف أحد علماء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع والعشرين الميلاديين، المآتم الحسينية على أنها: ((النوادي الخاصة المنعقدة للبكاء على ذلك القتيل الذي بكته السماوات والأرضون ومَن فيهن... صِلةً لرسول اللهν وأداءً لحقه ولحقوق الأئمة، وإسعادًا للزهراءβ))[٣].

وتاريخيًا، فإن أول مأتم حفل بالبكاء كان في كربلاء ليلة استشهاد الإمام الحسينφ، وكان مأتمًا عائليًا تكوّن من السيدات والفتيات العلويات زوجات وبنات وأخوات الإمام الحسينφ والهاشميين الطالبيين الذي استشهدوا معه. وانضمَّ إليهن بطبيعة الحال نساء الشهداء من غير الهاشميين[٤].

ثم يُروى أن من أوائل المآتم الحسينية التي أُقيمت بعد استشهاد الإمام الحسينφ، هو ما كان في دمشق، ولعل هذا كان أوّل ورود لكلمة المأتم الحسيني، فقد ذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، أن نساء آل يزيد بن معاوية دخلنَ كلهنَّ على الأسارى من نساء البيت النبوي وهنَّ في دار يزيد، وأقمنَ المأتم[٥].

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: : أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٥، ص١٨٥٧ (المادة: اتم).

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص٣ (المادة: أتم).

(٣) المظفر، نُصرة المظلوم، ص٢٥.

(٤) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ط١، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٢٣.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج٣، ص٣٤٠.

ومن أوائل تلك المآتم أيضًا ما قامت به أم سَلَمَة زوجة رسول اللهv، فإنها لما سمعت باستشهاد الإمام الحسينφ، طلبت أن يبنوا لها قُبّة في مسجد النبيv[١]، ومن المؤكّد أن تلك القبة لم يتم بناؤها لأم سلمة ولم تجلس فيها إلّا لتكون مكانًا للمأتم تبكي فيه وتستقبل النسوة المعزيات لها.

ومن النساء اللواتي بكينَ على الإمام الحسينφ ونصبن المأتم عليه السيدة الجليلة أم البنين فاطمة الكلابية زوجة الإمام أمير المؤمنينφ، فقد روى الإمام الصادقφ بأنها كانت تندب الإمام وتبكيه وقد كُفَّ بصرها، وكان والي المدينة يجيء متنكّرًا بالليل فيقف ليسمع بكاءها وندبها[٢].

وأمّا النساء الهاشميات فكان لهنّ شأنهن الخاص في هذه الرزية، فلما جاءهن الخبر باستشهاد الإمامφ عَلَت أصواتهم بالبكاء من داخل دورهن فلم يسمع السامع يومذاك أشبه بواعيتهن[٣]، ولبسنَ السواد وما دلَّ على حزنهن من الثياب الخشنة البالية، وكُنَّ لا يُبالين من حرٍّ أو برد لشدّة المصيبة، وقد شاركهن الإمام زين العابدينφ في تقديم ما يحتاج إليه المأتم، فكان يعمل لهن الطعام[٤]، وكُنّ مما أنشدنه من الشعر ما تضمّن انتقاد الأُمة التي انتهكت حُرمة عترة النبيv، فأسرت بعضهم وقتلت بعضهم الآخر[٥].

---

(١) الشجيري، يحيى بن الحسين (ت: ٤٩٩هـ/١١٠٥م) كتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسيّة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص٢١٦.

(٢) الشجيري، كتاب الأمالي، ج١، ص٢٣٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج٣، ص٣٤١؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص١٢٣.

(٤) ينظر: البرقي، المحاسن، ج٢، ص٤٢٠.

(٥) ينظر: المفيد، الإرشاد، ج٢، ص١٢٣.

ونتيجة لهول المصيبة وعِظَم الحادثة وقباحة الظُلم الذي جرى على آل بيت رسول اللهν، فقد كانت المآتم الحسينية عامرة بالبكاء والحضور، فقد رويَ أن النياحة على الإمام الحسينφ استمرت سنة كاملة في المدينة المنورة، ثم صار المأتم ينعقد يوم العاشر من المحرم الحرام ولمدة ثلاثة سنين، وقد فعل ذلك نساء بني عبد المطلب بحضرة الإمام علي بن الحسينχ، وكان مَن بقيَ من الصحابة والتابعين يأتون إلى مأتم النساء فيستمعون إليهن ويبكون(١).

وتخليدًا لذكرى عاشوراء، وإبقاءً لها وللمبادئ السامية التي ضحّى من أجلها الإمام الحسينφ، كان الإمام الباقرφ يفرض على الشيعي إحياء هذه الذكرى في كربلاء، فإن لم يستطع الحضور لبُعد المسافة أو لسبب مانع آخر فيوصيه بإقامة المأتم في داره ويجمع أهله ليندبوا الإمام الشهيد ويبكونه ويظهروا الجزع عليه ويُعزّي بعضهم بعضًا(٢).

وكانت هذه المجالس أو المآتم الحسينية المنعقدة في كربلاء أو في غيرها من مناطق الشيعة، محبوبة عند الأئمةβ، فكان الإمام الصادقφ، يسأل بعض شيعته عن إقامتهم للمجالس التي تُذكَر فيها مصائب أهل البيتβ، هل أنهم مهتمّون بإقامتها؟ فلما كان جواب أحدهم: نعم، إنهم يجلسون ويتحدّثون في تلك المصائب، كان رد الإمامφ: ((إن تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، إنه مَن ذكرنا وذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذبابة غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر))(٣).

---

(١) القاضي النعمان، النعمان بن محمد (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م) المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، وآخرون، ط١، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٠٣.

(٢) الطوسي، مصباح المتهجد، ص٧٧٢.

(٣) الصدوق، ثواب الأعمال، ص١٨٧.

ونالَ زوّار كربلاء المقيمين العزاء والمأتم عند القبر الشريف، عناية الإمام الصادقφ، فكان يدعو لهؤلاء القادمين من الكوفة وغيرها والذين هم ما بين قارئ وقاص ونادب وراثٍ[١]، وكان من بين هؤلاء الذين حضروا كربلاء وأقاموا المأتم عند القبر الشريف، أبو هارون المكفوف، فإنه كان يرثي الإمام بطريقة حزينة تُبكي الحاضرين، ولذلك لما قرأ في مأتم الإمام الصادقφ المُقام في داره بالمدينة بطريقة مختلفة عما هي عليه عند القبر، أمره الإمام بأن يقرأ بطريقته تلك، فلما قرأ أبكى الإمام وأبكى النساء اللواتي في الدار[٢].

واستمرت المآتم في بيوت أهل البيتβ، مُذكّرين الناس بما جرى يوم عاشوراء عليهم من القتل للرجال والسبي للأطفال والنساء والحرق للخيام والسلب والنهب، وكانوا شديدي التأثُّر لهذا المصاب فلا يُرى أحدهم ضاحكًا حين تحلّ أيام المحرم الحرام، فإذا كان يوم العاشر كان يوم حزنهم وبكائهم، حتى تقرّحت جفونهم من شدة البكاء وكثرته[٣].

وفي كربلاء تأثّرت المآتم بعض الشيء بالوضع السياسي القائم، فكانت الطقوس ومن بينها المأتم عامرة قبل أن تصدر أوامر المتوكل بهدم قبر الإمام الحسينφ وحرثه ومنع الزائرين من إتيانه، وذلك في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)، ولكن هذه الأوامر لم تمنع الشيعة من الاستمرار على زيارة الإمام، فكانت أعداد كثيرة منهم تأتي وتقيم الطقوس، وقد أزعج هذا الأمر المتوكل مرة أخرى، فجدّد أوامره بنبش القبر الشريف وحرثه ومنع زيارته، فانقطع الناس عن الزيارة، وذلك في سنة

---

(١) الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٨٣؛ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٥٣٩.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١٠-٢١١.

(٣) ينظر: الصدوق، الأمالي، ص١٩٠-١٩١.

(٢٤٧هـ/٨٦١م)[١]، ثم عاد الناس سريعًا إلى سابق عهدهم من الزيارة وممارسة طقوسهم في كربلاء، وذلك بعد قيام المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م) بقتل أبيه، وسمح للناس بإتيان كربلاء وزيارة قبر الإمام الحسينφ[٢].

وممّا ساعد كثيرًا على توسّع أماكن إقامة المآتم الحسينية، وجعلها خارج نطاق البيت أو عند القبر الشريف، هو مجيء البويهيين إلى بغداد، وبمجيء هؤلاء صارت النياحة والمآتم في الشوارع، وصارت الأسواق معطّلة في عاشوراء، والدكاكين مغلقة، بأوامر رسمية وذلك في سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م)[٣].

واستمر التطور في المأتم الحسيني حتى صارت الكتب تؤلّف له خاصة، وهي كتب المقاتل التي هي مرآة للنظرة العامة للمأتم، ومحتواه الثقافي، والعناصر المكوّنة لهذا المحتوى، ومنها كتاب "مثير الأحزان" الذي مرّ ذكره مراراً،[٤]، وقد رويَ ما يؤكّد أن تلك الكتب كانت تُقرأ في المحرم الحرام، فقد جاء في أحداث سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) أن السلطة العباسية منعت بعض المناطق ومنها الكرخ، النياحة والإنشاد وقراءة مقتل الإمام الحسينφ[٥].

---

(١) الطوسي، الأمالي، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٨٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٥.

(٤) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٥١.

(٥) ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) الحوادث الجامعة في التجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٩٤.

ولا أُريد أن أذهب هنا إلى أبعد من هذا الزمن في البحث عن المأتم الحسيني[١]، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن المأتم قد مرَّ بثلاثة أدوار منذ نشأته وحتى الآن:

الدور الأول: من تاريخ استشهاد الإمام الحسينφ سنة (٦١هـ/٦٨٠م)، إلى حين سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) أو قبله بقليل.

الدور الثاني: من حين سقوط بغداد أو قبله بقليل إلى العصر الحديث.

الدور الثالث: من بداية العصر الحديث إلى الوقت الحاضر.

في كل هذه الأدوار اشتمل المأتم الحسيني على عنصر ثابت، وعناصر أخرى متغيرة، فالعنصر الثابت هو عرض قصة الإمام الحسينφ مع التركيز على الجانب المأساوي، منها: غلو الأمويين في ظلمهم وتنكّرهم للقيم، ومنع وصول الماء للمخيم الحسيني، وما نتج عن ذلك من حوار النسوة والأطفال مع الإمام بخصوص مسألة الماء والعطش، إلى غير ذلك الكثير، ويبلغ المأتم ذروته بذكر مصرع سيد الشهداءφ، وفي هذا الدور حصل تطوّر نوعي في المحتوى في أربعة أمور: التوسّع في عرض تفصيلات المأساة ومقدّماتها التاريخية، ونمو البُعد الفضائلي للمأتم الحسيني، وتكامل الشعر والنثر، واحتواء المأتم على مصائب الأئمة المتأخرين وسائر العلويين الثائرين[٢].

وأما في الدور الثاني فقد حافظ المأتم على العنصر الثابت وهو المأساة ونقد السلطة، وأما التطور الشكلي فيه فحصل في أمرين: الأول، أن المواعيد الزمنية للمأتم غدت أكثر ثباتًا وتنظيمًا، كما أن العناصر البشرية المتفرغة للمأتم من نُوّاحٍ

---

(١) سيكون المبحث الأول من الفصل الرابع مخصصًا للمآتم في العصور المتأخرة.

(٢) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٤٩، ٢٥٣، ٢٧٤.

ومُنشدين وقُصّاص غدت أكثر عددًا، والثاني، أن اللطم في هذا الدور غدا عنصرًا أصيلًا في بعض المآتم الحسينية في العراق وإيران، وكان هذا اللطم من العادات التي أدخلها البويهيون على المأتم الحسيني(١).

وفي الدور الثالث شهد المأتم الحسيني تطورًا شكليًا وتطوّرا نوعيًا عظيميَّ الأهمية، فقد أتاح الأمن والحرية اللذين تمتّع بهما الشيعة في كثير من مناطقهم إقامة المأتم في كل وقت من العام من دون أن يخشوا من سلطان أو جمهور، كما تعددت مناسبات إقامة المأتم كما في شهري محرّم وصفر وكذلك شهر رمضان، ويعقد في وفيات أهل البيتβ وغيرهم من شخصيات الطف، أو قد يكون جزءًا من مجلس الفاتحة، أو عند الانتقال إلى منزل جديد تبرّكًا، أو عند القدوم من الحجّ، وهذا التوسع في المناسبات قابله زيادة في عدد المتخصصين في هذا المجال الثقافي الديني، ويدعى أحدهم الخطيب أو خطيب المنبر الحسيني، هذا من حيث الشكل، وأما من حيث التطور النوعي فقد غدا المأتم الحسيني قوّة فاعلة في التوجيه الاجتماعي، بعدما صار الخطيب ذا ثقافة وسعة اطلاع ويتناول القضايا المختلفة منها: الاجتماعية والتربوية والسياسية، فضلًا عن الدراسات الإسلامية والقرآنية، بلغة مفهومة(٢).

ومما تقدّم يتبيّن الدور المهم الذي يؤدّيه المأتم الحسيني، الذي صار يعقَد في مناسبات كثيرة وأوقات متعددة وبلدان مختلفة، وقد لاحظَ علماء الشيعة تلك الأهمية، فانبرى بعض منهم لا سيما من رجال القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع والعشرين الميلاديين، إلى تسجيل جملة من الفوائد التي يحققها المأتم، منها:

---

(١) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٧٥-٢٧٧.

(٢) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٨٩-٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥-٢٩٨.

أوّلًا: إنها من دلائل صدق الموالاة للنبيν وأهل بيتهβ، فهي مواساة لهم في حزنهم[١].

ثانيًا: إنها جامعة إسلامية، ورابطة إمامية، باسم النبيν وآلهβ ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله المتين والتمسُّك بثقلَي رسول اللهν[٢].

ثالثًا: تؤدّي دورًا في نصرة الحق وإحيائه، وخذلان الباطل وإماتته، وهي الفائدة التي من أجلها أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب وباللسان وبالجوارح[٣].

رابعًا: لها تأثير على كل فرد إمامي مُشارك في جعله راسخ الاعتقاد بالمدرسة التي ينتهي إليها، شديد اليقين بها[٤].

خامسًا: أنّ فيها حثّ على وجوب معرفة الفضل والصفات السامية لأهلها، وفي ذلك من الحث على وجوب الاقتداء بهم ما لا يخفى[٥].

سادسًا: إنها مدرسة يسهل فيها التعلّم والاستفادة لجميع طبقات الناس، فيتعلمون فيها التاريخ والأخلاق والتفسير والخطابة والشعر واللغة وغير ذلك[٦].

---

(١) الامين، محسن، إقناع اللائم على إقامة المآتم، تحقيق: حسن بن علوي الموسوي، ط١، مجمع الإمام الحسينφ العلمي لتحقيق تراث أهل البيتβ، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧م، ص٣٥٧.

(٢) شرف الدين، عبد الحسين، مقدمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، تحقيق: نور الدين الميلاني، ط١، مركز الحقائق الإسلامية، قم، ١٤٣٠هـ، ص١٠٩.

(٣) الأمين، إقناع اللائم، ص٣٥٧.

(٤) المظفر، نصرة المظلوم، ص٦٣.

(٥) الأمين، إقناع اللائم، ص٣٥٧.

(٦) الأمين، إقناع اللائم، ص٣٥٩.

سابعًا: أن فيها تأليفًا للقلوب بالتزاور والاجتماع، والتحادث والتعاون والتعارف، وإعانة الفقراء والضعفاء بما يُنفَق فيها من المال والزاد[١].

ثامنًا: لها دور في جذب الناس إلى الاستماع إلى الفضيلة والموعظة وتعلُّم بعض المعلومات الإسلامية، فهي تسهم في منع هؤلاء من الذهاب إلى مجالس الباطل والقهوات المعلوم حالها[٢].

الفصل الثالث:

(١) الأمين، إقناع اللائم، ص٣٦٢.

(٢) الأمين، إقناع اللائم، ص٣٦٠.

المبحث الأول: مجالس العزاء في البيوت والشوارع والحسينيات

المبحث الثاني: لبس السواد وآلات العزاء وأدواته

المبحث الثالث: إطعام الزائرين

المبحث الأول:

مجالس العزاء في البيوت والشوارع والحسينيات

لقد مرّت مجالس العزاء والنياحة على الإمام الحسينφ بمراحل متباينة وكانت تتأثر بعوامل سياسة الحكومات التي مرت على العراق وحسب توجهات السلاطين والحكام، وبحسب توجهاتهم الدينية أو مصالحهم السياسية[١].

فكانت اجتماعات صغيرة يعقدها نفر من المسلمين الناقمين من أتباع أهل البيتβ وغيرهم في بيت أحدهم أو في مسجد أو في شارع فيتحدثون عن الإمام الحسينφ وأنصاره وما جرى عليهم وينتقدون السلطة التي قتلتهم ويتبرؤون منها، وقد ينشدون شيئًا من الرثاء الذي قيل في واقعة الطف. وقد تطور هذا المأتم عبر العصور–كما ذكرتُ سابقًا– فمر في أدوار متميزة حتى انتهت في أيامنا هذه الى الشكل الذي تقام عليه الآن[٢].

---

(١) الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن عليφ، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط١، مؤسسة أنصاريان، قم، ٢٠٠٣م، بيروت، ج٢، ص٢٣.

(٢) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٣٣–٢٣٤.

وقد سبق أن ذكرتُ بعض تلك المراحل، وهنا أذكر تفصيلات أخرى لم أتعرّض إليها، مبتدئًا بالعهد السلجوقي الذي بدأ عام (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م)، وفيه تراجعت الشعائر الحسينية وانحسرت بسبب سياسة الاضطهاد التي اتّبعها الحكام السلاجقة اتّجاه المسلمين الشيعة، وكانت المجالس الحسينية تقام بالخفاء في العراق وإيران(١).

وبالرغم من دخول الأتراك السلاجقة إلى الأرضين الإسلامية وتضييقهم الخناق على الشيعة إلّا أن مراسيم العزاء زادت بتقادم الأيام وانتشرت عند الشيعة فكانوا يُظهرون الجزع والحزن يوم عاشوراء ويمزق عامة الناس ملابسهم وتلطم النساء وتنتحب. كما أن اشراف أهل السنة أقاموا العزاء ومراسيم عاشوراء وشاركوا فيه(٢).

بعد سقوط بغداد على يد المغول عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، بدأت مرحلة جديدة للشعائر الحسينية(٣)، إذ اختلفت مواقف السلطات الحاكمة من الشعائر الحسينية، من حاكم لآخر حسب سياسته اتّجاه القضية الحسينية، وعلى العموم فقد تمتع الشيعة في عهد الدولة الإيلخانية بحرية ممارسة طقوسهم العاشورائية والعزاء الحسيني، وكان الملك خدابندة (ت: ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، أول ملوك الأسرة جاهرَ بالتشيع لآل البيتβ وأمر بتخليد أسماء الأئمة الاثني عشر على مسكوكاته، ولما خلفه ابنه أبي سعيد استمر بتلك السياسة(٤)، فضلاً عن اهتمامهم بإعمار المراقد المقدسة في كربلاء إذ شيّد أويس

---

(١) الشامي، حسين بركة، مقدمة في الإصلاح وتجديد الشعائر الحسينية، بغداد، دار الإسلام، ٢٠٠٩م، ص١٤١.

(٢) كسرائي، شاكر، مشهدية الشعائر الحسينية عند العرب والإيرانيين، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العتبة الحسينية، (النجف الأشرف)، ٢٠١٨م، ص٨٦-٨٧.

(٣) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٧٥-٢٧٧.

(٤) الشهرستاني، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن عليφ، ج٢، ص٢٤.

الجلائري[١] عمارة المرقد الحسيني عام(٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، وأتمها من بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد عام (٧٨٦هـ/١٣٨٤م)[٢].

وقد تحول بعض زعماء المغول للإسلام والتشيع، فقد تشيّع أحد خلفاء هولاكو وهو (غازان خان)، الذي قام بزيارات عديدة لكربلاء والنجف، وكان الشيعة يقيمون المآتم الحسينية بحرية مطلقة وبشكل علني، واستمر من بعدهما أبناء اختهما من الجلائريين[٣] حتى أوائل القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) وفي كل هذه المراحل كان الشيعة يمارسون طقوسهم بكل حرية[٤].

ثم حصل تغيير كبير في تاريخ ممارسة الطقوس العاشورائية وحرية ممارستها في العهد الصفوي، فقد استحدث إسماعيل الصفوي[٥]، منصب وزير الشعائر الحسينية،

---

(١) اويس الجلائري: وهو معز الدين اويس الجلائري ابن الشيخ حسن بزرك، من اشهر سلاطين الدولة الجلائرية، ولد حوالي عام (٧٣٩هـ/١٣٣٨م) وتزوج سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) من حاجي مما خاتون، تولى الحكم بعد والده عام (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) وتوفي عام (٧٧٦هـ/١٣٧٤م). للمزيد من التفاصيل يُنظر: طرطور، شعبان، الدولة الجلائرية، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٤-٣٣.

(٢) الكليدار، عبد الجواد، تاريخ كربلاء وحائر الحسينφ، ط١، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٤١٨هـ، ص٢٢٥.

(٣) الجلائريين: يرجع اسمهم إلى قبيلة اسمها جلائر أو جلاير كما يسمون الاليكانيين نسبة إلى ايلكان نويان زعيم هذه القبيلة الذي اشترك مع هولاكو بحروبه، وهم من أصل مغولي، كانوا يسكنون منغوليا، ونزحوا بالقرب من جينكز خان، وقامت بينهما مشاحنات انتهت بالمصاهرة. للمزيد من التفاصيل ينظر: طرطور، الدولة الجلائرية، ص٦-٨.

(٤) النداوي، عبد الرزاق، تطور مراحل العزاء والمأتم الحسيني، بحث منشور في (مجلة الإصلاح الحسيني)، العدد ١٢، السنة الثالثة، ٢٠١٥م، ص١٦٣.

(٥) إسماعيل الصفوي: هو شاه إيران ومؤسس الدولة الصفوية، ولد عام (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، حكم من (٩٠٧-٩٣١هـ/١٥٠١-١٥٢٤م)، واختل العراق عام (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، وهو شاعر أيضاً، وله أعمال دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية في إيران بعد تأسيس دولته، وشهد عهد حروب مع جيرانه أبرزها حربه مع العثمانيين، وتوفي عام (٩٣١هـ/١٥٢٤م) في أردبيل. الوَائلي،

وأدى إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس –كما سنوضحها لاحقًا– ومنها ظهور أطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرادى[١].

وازداد عدد الرجال المختصين بهذا المجال الديني، ويُدعى أحدهم الخطيب أو خطيب المنبر[٢].

وبعد احتلال إسماعيل الصفوي بغداد عام (٩١٤هـ/١٥٠٨م)، توجه إلى كربلاء، وأدى مراسيم الزيارة وقبّلَ العتبة المقدسة بخشوع واحترام وورع تام ومرّغ خدّيه على تراب العتبة المقدسة، وأنعمَ على مُجاوري الروضة بالهدايا وكسا صندوق القبر الشريف بأثواب من أفخر أنواع الحرير المزركش الموشى بالفضة والذهب، وغير ذلك من الأعمال، وقضى ليلة كاملة وهو معتكف بالحائر مُنكبّ على قبر المرقد[٣].

وقد ذكر أحد خطباء المنبر الحسيني في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أنه هاجر من دمشق وجاور الحائر الحسيني الشريف، وارتقى المنبر الحسيني خطيبًا لقراءة مجالس العزاء الحسيني في كربلاء المقدسة، وذكر أنه بعد أن مَنَّ الله عليهِ بمجاورة سبط نبيّه تولى مهمة إحياء ذكرهم على المنابر، وذكر أنه قلّما يمضي يوم من أيام المناسبات الخاصة بإحياء ذكرى آل البيتβ دون أن يقيم مجلسًا، ومن الخطب التي القاها خطبة مولد سيد البشرv، وخطبة يوم الغدير، وخطبة يوم السادس من شهر ذي الحجة يوم تزويج البتول من صنو الرسول،

طَالِب محيبس حَسَن، إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول (٩٠٧-٩٣١هـ/١٥٠١-١٥٢٤م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٧م (صفحات مختلفة).

(١) شريعتي، علي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ط٢، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٠٨.

(٢) شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٨٤-٢٩٩.

(٣) الكليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسينφ، ص٢٢٥-٢٢٧.

ومجلس تحفة الزوار ومنحة الأبرار، ذكر فيه ثواب زيارة سيد الشهداء وفضل كربلاء، وتعزية باسم مجرية العبرة ومحزنة العترة في يوم التاسع من محرم[١].

ومع بداية الاحتلال العثماني للعراق عام (٩٤١هـ/١٥٣٤م) بدخول السلطان سليمان القانوني بغداد، قام الأخير بزيارة كربلاء وسعى للعناية بها منافسةً للشاه إسماعيل الصفوي[٢]، فأثر ذلك الصراع العثماني الصفوي على توارد الزائرين إلى العتبات المقدسة في العراق ومنها في كربلاء[٣]، فمن الطبيعي أن يكون لذلك أثر على ممارسة الطقوس العاشورائية.

واستمر الصراع الصفوي العثماني، ففي عام (١٠٣٣هـ/١٦٢٣م) دخل الشاه عباس الصفوي بغداد، وزار الشاه العتبات المقدسة، مما دفع السلطان العثماني مراد الرابع من استعادة السيطرة على بغداد وطرد الاحتلال الصفوي، وكان شديد العداء للتشيع فقتل (٣٠٠) زائر إيراني، كانوا عبروا إلى العراق لزيارة الكاظميينχ ومنهما إلى كربلاء[٤]. ومما لا شك فيه أن يكون لهذا العداء للزائرين وقتلهم أثره تراجع أعدادهم الوافدة إلى كربلاء ولكن يبدوا أن هذا لم يمنعهم من مواصلة الزيارة وممارسة العزاء وعقد المجالس الحسينية.

وبعد سيطرة المماليك على الحكم في بغداد (١١٦٣-١٢٤٦هـ/١٧٤٩-١٨٣١م) أصبحت كربلاء تحت حكمهم، وكان الوضع مستقرًا في عهد سليمان أبو ليلة أول حكامهم (١١٦٤-١١٧٦هـ/١٧٤٩-١٧٦٢م) وقد زار كربلاء ودخل الحضرة الحسينية عام (١١٦٤هـ/ ١٧٤٩م)، كذلك كان الوالي سليمان باشا الكبير وهو أبرز حكام

---

(١) الحائري، تسلية المُجالس وزينة المَجالس، ج١، ص ص١٢، ١٣، ١٧، ٢٢.

(٢) لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية: جعفر الخياط، ط٥، الفرات-الرافدين، للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص٣٩.

(٣) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٤٥.

(٤) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٧٢، ٨٠، ٩٨.

المماليك (١١٩٥-١٢١٦هـ/١٧٨٠-١٨٠٢م)، قد زار كربلاء أكثر من مرة أولها في عام (١١٩٥هـ/١٧٨٠م) وخلالها زار مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباسχ [١].

إلّا أن موقف الوالي داود باشا (١٢٣٢-١٢٤٦هـ/١٨١٦-١٨٣١م)، آخر حكام المماليك، كان مختلفاً عن سلفه ومعادياً للتشيع فقد تميز أكثر من غيره من الولاة العثمانيين بالتضييق على الشيعة ومنعهم من إقامة العزاء الحسيني، لاعتقاده بأنها أحد الوسائل التي تقوم بها الدولة القاجارية لإفشال الدولة العثمانية، وقد اضطر الشيعة في عهده إلى إقامة مجالس التعزية في السراديب، بعيداً عن العيون والأسماع، وفي بعض الأحيان اضطروا إلى ترك إحدى النساء تدير الرحى في صحن الدار، لكي لا يسمع المارة في الشارع صوت مَن يقرأ أو مَن يحضر العزاء الحسيني[٢].

وقد استثمر البعض فرصة انعقاد صلح بين داود باشا وإيران عام (١٢٣٧هـ/١٨٢١م) فأقاموا مجالس التعزية علناً وكان الشيخ موسى كاشف الغطاء[٣] الذي توسط عقد الصلح بين الجانبين هو الذي أقام مجلس تعزية في داره في النجف ثم تبعه آخرون[٤].

---

(١) الأسدي، أحمد باسم حسن، كربلاء من (١٧٤٩-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠١٧م، ص٤٧.

(٢) الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط٢، دار الراشد، بيروت، ٢٠١٣م، ج٢، ص١١٨؛ الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٦٣-٦٤.

(٣) موسى كاشف الغطاء: وهو ابن الشيخ جعفر النجفي ولد في النجف عام (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م) كان عالماً وزعيم روحي وفقيه أصولي، ويعرف في العراق وإيران بالمصلح بين الدولتين، المسلمتين، كان وجيهاً عند العثمانيين، ألّف كتاباً في الصلاة لم يتم، وكان أديباً وشاعراً، توفي في النجف (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م). للمزيد من التفاصيل ينظر: حرز الدين، محمد، معارف الرجال، علق عليه: محمد حسين حرز الدين، مطبعة الولاية، قُم، ج٣، ١٤٠٥ هـ. ق، ص٢٦-٢٩.

(٤) مركز كربلاء للدراسات والبحوث، موسوعة كربلاء الحضارية، قسم الوثائق العثمانية، ترجمة: سامي المنصوري، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٨م، ج٧، ص٤١٢.

بعد سقوط المماليك عام (١٢٤٦هـ/١٨٣١م) تولى الوالي علي رضا باشا اللاز[١] الحكم في ولاية بغداد، إذ شهد عهده نقطة تحوّل في تاريخ العزاء الحسيني، لأن الوالي كان أحد أتباع الطريقة الصوفية البكتاشية، الذين كانوا يميلون إلى التشيع، فشجّع الوالي الشعائر الحسينية، وحضر المجالس الحسينية بنفسه وممارسة الشعائر الحسينية بشكل واسع[٢].

ويعد القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، أكثر مرحلة تاريخية شهدت أسوأ أحداث ومجازر بمدينة كربلاء، ففي عام (١٢١٦هـ/١٨٠٢م) هجم الوهابيون على كربلاء وشرعوا بعمليات القتل والسلب، فقتلوا أغلب الأهالي من النساء والأطفال والشيوخ في الأسواق والبيوت بأبشع صورة[٣].

وكان الحدث الثاني الأكثر إجراماً بحق الشيعة في كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ما قام به الوالي نجيب باشا عام (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، بفرض الحصار على كربلاء المكتظة بالزوار وأهلها فاضطروا إلى شرب مياه الآبار المجّة واستمر الحصار ثلاثة وعشرون يوماً، بعدها اقتحمت قواته المدينة ولجأ بعض المدافعين إلى حرم أبي الفضل العباسφ، بينما شرعت القوات العثمانية بالقتل والسبي والنهب والتخريب واستباحت كربلاء وهدرت دماء الأبرياء من النساء والأطفال، ودخلت القوات إلى صحن العباسφ، وقلعوا بابه وشرعوا

---

(١) علي رضا باشا اللاز: ولد في ولاية طرابزون كان أديباً شاعراً على الطريقة البكتاشية، وتولّى عدة مناصب منها ولاية حلب للمدة (١٢٤٥-١٢٤٦هـ/١٨٢٩-١٨٣٠م)، وولاية ديار بكر في(١٢٤٧هـ/١٨٣١م)، وفي العام نفسه أرسله السلطان إلى بغداد للقضاء على حكم المماليك، وصار والياً على بغداد وتوفي عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م). الورد، باقر أمين، بغداد خلفائها- ولاتها- ملوكها- رؤساؤها، دار التربية، (د.ت)، ص٢٣٧.

(٢) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، ص١١٨.

(٣)الأسدي، كربلاء من (١٧٤٩-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ص٦٥.

بقتل كل من فيه من نساء وأطفال وعجزة[١]، وامتلأت الشوارع المتاخمة لضريح العباسφ بالجثث التي سرعان ما قام الأتراك بإضرام النيران فيها من خلال استخدام النفط وتغطيتها بالبطانيات، وفي تلك الأثناء انتشرت القوات في الخارج لنهب منازل المدينة وغالباً ما مارست هذه القوات ضغوطاً في إجبار المالكين على حمل ونقل البضائع المسروقة إلى المعسكر واستمروا إلى مغيب الشمس[٢].

ومع كل هذا استمرت ممارسة طقوس ذكرى عاشوراء خلال مدة حكم الولاة العثمانيين الذين جاءوا بعد الوالي علي رضا باشا، إلّا أن الوالي مدحت باشا[٣] (١٢٨٦-١٢٨٨هـ/ ١٨٦٩-١٨٧١م)، حاول منع مسير المواكب الحُسينية وأصدر مرسوماً بشهر محرم الحرام من عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)، منع فيه إقامة مسيرات المواكب وهدّد بمعاقبة كل مَن يقيم ذلك، إلّا أنه اضطر إلى التراجع عن ذلك القرار، فاستمرت مواكب التعزية إلى نهاية العهد العثماني في مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي إذ ترسّخت أكثر حتى أخذت شكلاً أشبه على ما هي عليه اليوم[٤].

---

(١) الحسني، عبد الرزاق، تسخير كربلاء، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء، ٢٠١٥م، ص٣٦، ٤١، ٤٢.

(٢) كول، خوان، ومومن، موجان، العثمانيون وشيعة العراق، بيت الوراق، بغداد، ٢٠١٦م، ص١١٦.

(٣) مدحت باشا: وهو أحمد شفيق بن حافظ أشرف باشا ولد عام (١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، في الاستانة، سُمّي باسم مدحت، وتعلّم العربية والفارسية والنحو، وتدرّج بالمناصب الحكومية. حكم ولاية بغداد للمدة (١٢٨٦-١٢٨٩هـ/١٨٦٩-١٨٧٢م). بك، كمال، والدملوجي، يوسف صديق، مدحت باشا حياته مذكراته، محاكمته، الدار العربية، بيروت، ٢٠٠٢م، (صفحات مختلفة من الكتاب).

(٤) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص١٠٥.

فاليوم ومنذ وقت مضى يشهد المجتمع الشيعي حركة غير اعتيادية من النشاط العاطفي والفكري، التي تتمثل في إقامة المآتم على الإمام الحسينφ منذ استهلال شهر محرم الحرام وشهر صفر[١]، من قِبل العلماء والأشراف والشيوخ وسائر فئات المجتمع، ويستعدون لأحياء ذكرى أبي الشهداءφ، والجدير بالذكر أن هذه المجالس تعقد في دور العلماء منهم: السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وآل القزويني في بيت إبراهيم القزويني، وآل الشهرستاني، وبيت آل الشيخ زين العابدين وغيرهم في بيوت أهل العلم والفضل، وكانت تعقد المجالس في دور الأشراف ومنهم آل طعمة، وآل ثابت، وآل النقيب، فضلاً عن دور التجار وغيرهم من الناس[٢]

وهناك مآتم تقيمها النساء وتسمى (القراية) أو مجلس عزاء إذ تأتي الملايات والتي تحمل كل منها كتاباً مغلفاً بجلد أسود ليتلاءم مع المناسبة الحزينة وتجلس (الملايات) وتأتي نساء الجيران ويجلسن حولها على شكل حلقة، وتبدأ (الملاية) بالقراءة والباقي يرددن خلفها بالصراخ وبعد أن تكمل (الملاية) قراءتها يبدأ أهل الدار بتقديم القهوة[٣].

وهناك مآتم يقيمها الرجال في شهر محرم ويضع صاحب العزاء في وسط الدار كرسي (المنبر)، عالٍ مغطى بقماش أسود ويفرشون كل الدار بالأسود ويقدمون لكل من يدخل المأتم سيكارة وفنجان قهوة ومن ثم يقوم (الملا) بقراءة مقتل الإمام الحسينφ ومن ثم يعجّ الحاضرون بالبكاء بعدها يختم القراءة بأبيات شعرية ويدعو للمسلمين

---

(١) البدري، سامي، المجالس الحسينية تأسيس الأئمة من ذرية الحسينφ، ط٢، مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، النجف الأشرف، ٢٠١١م، ص٣.

(٢) الأسدي، كربلاء من (١٧٤٩-١٨٦٩م)، ص١٨٧.

(٣) الزبيدي، سهير عباس كاظم، الأحوال الاجتماعية في منطقة الفرات الأوسط من خلال كتب الرحالة الأجانب(١٨٣١ -١٩١٤م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٢م، ص٢١٦.

وأعلام الدين ولمؤسس المجلس ويطلب قراءة الفاتحة وإهداء ثوابها إلى أرواح المؤمنين[١].

ويقام المجلس من قبل الوجهاء أو الأغنياء من الشيعة ويقرأ في المجلس مقتل الإمام الحسينφ لمدة عشرة أيام في شهر محرم وشهر صفر من كل عام، ومَن يشهد هذه المجالس ويستمع إلى القصائد الحزينة التي يلقيها الخطباء فيها ووصفهم مقتل الإمام وأولاده يحسّ بالميل إلى البكاء وكثيراً ما ينشدون الأشعار العامية بصوت حزين[٢].

ومن أبرز خطباء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، الخطيب الشيخ محسن أبو الحب الكبير (١٢٢٥-١٣٠٥هـ/١٨١٠-١٨٨٧م)، إذ ألّفَ ديواناً شعريًا فيه القصائد الحسينية العاشورائية التي كان يقرأها في كربلاء تغلب عليه النياحة الدينية ويكاد يكون كله في رثاء الإمام الحسينφ وأنصاره[٣].

ومما يجدر ذكره أن هناك مجالس عزاء ومآتم حسينية أقامها الزائرون الذين كانوا يفدون إلى كربلاء من البلدان الإسلامية ومنها إيران، ومن هؤلاء الزائرين الرحالة أديب الملك عام(١٢٧٣هـ/١٨٥٦م)، الذي قال: ((ذهبنا إلى الزيارة الحرم الحسيني وبرفقتنا قارئ الزيارة السيد درويش أحد الخدم المحترمين، دخلنا الصحن وقبّلتُ أعتابه وقبّلتُ باب الروضة المقدسة، وقرأنا إذن الدخول، ودخلنا الروضة المطهرة، وهناك أنشدتُ قصيدة عند ضريح الحسين، أخبرنا السيد درويش قارئ الزيارة والقارئ على الحسين

---

(١) الزبيدي، الأحوال الاجتماعية في منطقة الفرات الأوسط من خلال كتب الرحالة الأجانب (١٨٣١-١٩١٤م)، ص٢١٦.

(٢) الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، ٢٠١٣م، ص٢٦١.

(٣) أبو الحب، محسن، ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير، تحقيق: جليل كريم أبو الحب، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء، ٢٠١٥م.

برغبتي لزيارة المخيم لإقامة مجلس التعزية هناك، وعلى موعد ليلة الجمعة وجدتُ مجالس التعزية منعقدة هناك، ارتقى السيد درويش المنبر وأخذ يقرأ حتى أبكى الأرض والسماء، وقد جذبني هذا الشريف لقراءته فاتفقتُ معه على إقامة سبعة مجالس في روضة سيد الشهداء وثلاثة مجالس في المخيم))[١].

يتضح من ذلك أن الزائرين كانوا يقيمون المجالس في العتبات المقدسة والمخيم الحسيني، ويحيون الشعائر الحسينية والبكاء وقراءة المقتل.

وهناك بعض الرحالة مَن وصف المجالس الحسينية وأماكن إقامتها، ومنهم الزائر الرحالة السيد علي بن حسين بن السيد خيرات علي الذي زار كربلاء في عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢)، بأن أكثر الناس كانوا يقيمون مجالس العزاء الحسيني في صحن المخيم بجهة القبلة[٢].

وفي عام(١٢٩٩هـ/١٨٨١م) ذكر الزائر الإيراني الرحالة الميرزا عبد الحسين خان أفشار ارومي أنه زار مرقد الحرم الحسيني وثم الحرم العباسي وعاد إلى محل إقامته بكربلاء وجاءه الملا خليل قارئ التعزية وقرأ تعزية حسينية[٣]، وذكر الملا إبراهيم الكازروني في رحلة الحج عام(١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، أنه زار مرقد الإمام الحسينφ وأقام مجلس التعزية لسيد الشهداء[٤].

ومن جهة أخرى كانت (الدواوين والمجالس) التي أنشأها علماء كربلاء ومنها مجلس السادة آل الشهرستاني، ومجلس السيد أبو القاسم الحجة الطباطبائي (ت:

---

(١) أديب الملك، عبد العلي خان، سفرنامة أديب الملك ١٢٧٣هـ. ق، تصحيح: مسعود كلزاري، جابخانة نقش جهان، طهران، ١٣٦٤ش، ص١٥٥.

(٢) الجبوري، كامل سلمان، العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية، دار المواهب، بيروت، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٤١.

(٣) الجبوري، العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية، ج٢، ص١٣٦-٣٥.

(٤) الجبوري، العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية، ج٢، ص٤٤٧.

١٣٠٩هـ/١٨٩١م)، والسيد حسن الحجة الطباطبائي في مدرسة المجاهد، والسيد محمد باقر الطباطبائي، ومجلس كمونة، ومجلس أبو المحاسن، ومجلس الكشميري، ومجلس التكية البكتاشية، كانت جميعها مقراً لعقد مجالس العزاء الحسيني، أما مجالس العشائر مثل مجلس آل كمونة الذي أسسه مهدي كمونة سادن الروضة الحسينية عام(١٢٥٩هـ/١٨٤٣م)، في محلة المخيم بسوق الزينية، ومجلس محمد حسن أبو المحاسن في محلة باب بغداد، باتجاه صحن المرقد العباسي، كانوا يتطرقون إلى واقعة الطف[١].

وقبل تأسيس الحسينيات كان الزائرون من أهالي بغداد ومناطق العراق الأخرى والزوار الأجانب يقيمون في منازل بكربلاء يؤجرونها ثم أخذوا يشترونها ويتخذوها مقراً لهم في المناسبات لا سيما في عاشوراء والأربعين ثم أوقفوها وحوّلوها إلى حسينيات منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ومن أقدم حسينيات كربلاء (حسينية تاج دار بهو) التي أسستها الهندية تاج دار باهو في عام (١٢٩٩هـ/١٨٨١م)[٢].

وقد أصبحت الحسينيات مركزاً مهماً لاستراحة الزائرين الوافدين وإحياء الطقوس العاشورائية وإقامة المجالس الحسينية من قبل أصحابها، وجرت العادة أن يرتقي المنبر الخطيب ليتحدث عن الثورة الحسينية[٣]، وغيرها من الموضوعات التي سبق أن تعرضتُ لذكرها.

---

(١) ال طعمة، سلمان هادي، محاسن المجالس في كربلاء مراجعة وتدقيق وتقديم: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث كربلاء، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥م، (صفحات مختلفة من الكتاب).

(٢) ال طعمة، سلمان هادي، تاريخ مساجد كربلاء وحسينياتها، مركز احياء التراث الثقافي والديني، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢١م، ص١٥١، ١٥٩.

(٣) ال طعمة، تاريخ مساجد كربلاء وحسينياتها، ص١٥٢.

المبحث الثاني:

لبس السواد وآلات العزاء وأدواته

إن للعزاء الحسيني مراسيم مميّزة في لباس المعزّين وآلاتهم وأدواتهم التي يستخدمونها، وسنتعرّف عليها الواحدة تلو الأخرى:

أولاً: لبس السواد

إن لبس السواد يرمز -كما هو معلوم- إلى الحزن والحداد، وجرى العرف على التوشّح به في حالات الحزن والمصاب بغض النظر إلى العقيدة أو القومية أو جنسية معينة، ولهذا أصبح لبس السواد من إحدى الشعائر الحسينية لما يدخله من الحزن على لابسيه(١).

وقد لبس رسول اللهν والإمام عليφ السواد كما لبسه الإمام الحسن المجتبىφ حدادًا على أبيه أمير المؤمنينφ، وأن الإمام الحسينφ لبس السواد، فروي عن الإمام الباقرφ أن الإمام الحسينφ قُتِلَ وعليه جبة خز دكناء وهو الأسود، وأن الإمام زين العابدينφ لبس السواد، فقد شوهد وعليه درعة سوداء، ولبس السواد الأئمة: الصادق والهادي والعسكريβ، وكان الشيعة أيام الأئمة يلبسون السواد في أول يوم من شهر محرم وينزعونه في يوم التاسع من ربيع الأول وأقرهم الأئمة على هذه العادة(٢).

وكان الخطباء يحثّون الناس على ارتداء السواد، فذكر الخطيب الشيخ ابن نما الحلي (ت: نحو ٦٨٠هـ/١٢٨١م) أنه إذا فاتكم نصرة الإمام الحسينφ فلم يفتكم لبس شعار الأحزان على مصاب الإمام وأسرته وأصحابه(٣).

ولا بد من التوضيح أن بعض الفقهاء أوردوا كراهة لبس السواد في موارد منها: لباس المصلي، وثوب المُحرِم وبعضهم كرّهه مطلقاً، وحصل اختلاف بين الفقهاء، إلّا

---

(١) الصفار، أحمد فاضل، الحماية الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، (د.م)، (د.ت)، ص٧٤.

(٢) الشيرازي، الشعائر الحسينية، ص٦٥-٧٦.

(٣) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص٢١.

أن قضية عاشوراء تختلف تماماً، فقد أيّدَ أحد علماء كربلاء في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، استثناء لبس السواد في مأتم الإمام الحسينφ [١].

لقد أصبح لبس السواد في أيام عاشوراء من جملة شعائر الحزن الواضحة التي تلازم الشيعة في لباسهم ورياتهم ومواكبهم، فاللون الأسود هو لون الحزن القاتم الذي يتشح به المحزنون، فهم يرفعون الرايات السوداء، ويكسون المآتم والحسينيات والمساجد والبيوت أحياناً، بالقماش الأسود مع هلال المحرم تعبيرًا عن تفجعهم وحزنهم واكتئابهم[٢]، وينتشر السواد في مواسم عاشوراء ويسود استخدامه في الرايات واللباس، والمظاهر العامة لدى كثير من التجار موسومًا لبيع وترويج الأسود من الأزياء والملابس والأغطية[٣].

ثانيًا: اللطم

يعرف اللطم أو اللدم في اللغة بأنه الضرب ومنه لدمت المرأة صدرها وتلدمه ضربته[٤]، واصطلاحاً يعرف بأنه تجمع حشد من الشيعة أيام العشرة الأولى من شهر محرم الحرام ووفيات المعصومين في مكان مقدس لضرب أنفسهم لدمًا على الصدور بأساليب منسقة حزينة، ويتم تنسيق الضربات التي ينهالون بها على صدروهم، ويرتقي شاعر أو منشد (رادود) على المنبر وينشد القصائد منظومة بأسلوب خاص تذكر للادمين بمصائب أهل البيت[٥].

---

(١) الموسوي، ليث عزيز ال سيد ناصر، أصل وتاريخ الشعائر الحسينية، مركز الدراسات التخصصية في المواكب الحسينية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧م، ص٧٥.

(٢) بادي، المصيبة الراتبة، ص٣٠٣.

(٣) الموسوي، أصل وتاريخ الشعائر الحسينية، ص٧٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص٥٣٩.

(٥) الصفار، الحماية الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، ص٧٢.

وظهر اللطم وأصبح عنصراً أصيلاً في بعض المآتم الحسينية في العراق وإيران وهي من العادات التي أدخلها البويهيون[١]، وقد انتشرت في العراق مواكب اللطم والمسيرات الشعبية وكان أول موكب للشيخ محمد باقر أسد الله المتوفى سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، في الكاظمية، أما في كربلاء فكانت تحت إشراف الشيخ محمد جواد البلاغي (ت: ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م)[٢].

وقد تناول أحد علماء الشيعة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين، الحديث عن اللدم أو اللطم، فوصفه بقوله: ((تنتظم من الرجال مواكب وهم حفاة الأقدام حُسّر الرؤوس عُراة الصدور والظهور، يضربون صدورهم وربما يضربون رؤوسهم بأيديهم وقد يذروا على رؤوسهم التراب أو التبن وقد يُلطّخ البعض رأسه بالطين تَتقدُمُهم وتحفُّ بهم وهم على تلك الحال المحزنة أعلام سود قد كُتِبَ عليها بالبياض مثل: (الحسين المظلوم) أو (العباس الشهيد) ينشدون باللغة الدارجة الأناشيد المحزنة بموادها وألحانها يخترقون الأسواق والأزقّة والجوادّ العمومية وهم على تلك الحال المشجية، وإذا فعلوا ذلك ليلاً تصحبهم الأنوار الكهربائية أو المشاعل الموقدة بالبترول الأسود))[٣].

ثالثًا: التشابيه أو التماثيل

التشابيه أو التماثيل من المظاهر والطقوس العاشورائية التي ظهرت متأخرة وأضحت التشابيه جزءًا لا يتجزأ من الشعار الحسينية وألفت الشيعة هذا النشاط في

---

(١) الشيرازي، الشعائر الحسينية، ص٨٥؛ شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص٢٧٨.

(٢) بندكتي، روبير، الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية، ط١، دار مصر المحروسة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٩٤؛ الموسوي، أصل وتاريخ الشعائر الحسينية، ص٦٣.

(٣) المظفر، نصرة المظلوم، ص٤٤-٤٥.

مواسم الحزن سواء أخذنا العرض المسرحي الذي في موضع محدد على شكل فصول متعددة أو الذي يجوب الشوارع والذي اكتُفيَ فيه بالمظاهر المعبرة[١].

والتشابيه هي عملية تمثيل أحداث وشخصيات واقعة الطف، وفيها يتولى شخص معين تمثيل دور الشمر وأشخاص آخرين يقومون بتمثيل الشخصيات الأخرى وأحداثها، من قتل الطفل الرضيع الدور الذي يؤديه حرملة وضرب قربة العباس وقتل الإمام الحسينφ، وتحضر مجموعة كراديس من الأفراد يقومون بدور الجيش وحملة الأسلحة من السيوف والرماح وهي محمولة على محمل خشبي، ثم نافخ البوق الذي يدل على وصول القائد، وهو راكب الحصان، يبدأ هذا الموكب من محلة المخيم الى مرقد العباسφ ثم صحن الإمام الحسينφ وفيه يختتم الموكب مسيرته[٢].

ويعد السلطان القاجاري ناصر الدين شاه أبرز سلاطين القاجار روج لقضية التمثيل والتشبيه المسرحي لواقعة كربلاء ولم يهتم براي العلماء وكانت مفردة التشبيه موضع خلاف بين العلماء والمفكرين باعتبارها قضية مستجدة عادةً مبتكرة أضيفت للشعائر ولا يمكن القفز عليها بسهولة وبمرور الزمن أصبحت عادة التشبيه مقبولة بمرور الزمن لدى الرأي العام الإسلامي والشيعي ولم يمنع العلماء إقامتها وكان خوف العلماء منها من توسعها وتطورها من أن تتضمن القضايا التي تخالف الشرع[٣].

إن التمثيل والتشبيه يكشف لنا جوانب وانفعالات لم نسمعها بالكلمات وهي سريعة الحفظ ومقاومة للنسيان وطريقة مناسبة وسهلة لكل متلقي ولها أثر بالغ في

---

(١) بادي، الشعائر الحسينية، ص١٠٢.

(٢) ال طعمة، الموروثات والشعائر في كربلاء، ص٦٨.

(٣) الشامي، مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية، ص١٧٣.

الحفاظ على هذا الإرث التاريخي القيّم، ولا بد من التأكيد على الوعي وضبط الأدوار واختيار الشخصيات المناسبة في تمثيل واقعة الطف[١].

رابعًا: ضرب الطبول ونفخ الأبواق والضرب بالسلاسل وبالقامات

ظهرت في المرحلة الأخيرة جماعة من المعزين يسيرون بمواكب تحمل مظاهر الحزن والمواساة بأشكال مختلفة منها ضرب الظهور بالسلاسل والمشي على الجمر، وتميزت هذه المواكب بقوة توصيف المصاب وقوة تفاعل الحاضرين[٢]، ويُشير ضرب الطبول ونفخ الأبواق في العزاء إلى الإعلام والتنبيه[٣].

ويأتي استخدام الطبول، لأنها أكثر الآلات الإيقاعية تأثيرًا، لأنها تزن الإيقاع بشكل دقيق، والميزة الأساسية لهذا النوع من الآلات الموسيقية هو أن الإيقاع يساير اللحن في أغلب الأوقات، فحينما ينشد النائح مرثيته بموجب لحن معيّن، فإن الإيقاع هو الذي يساير اللحن وليس العكس، وقد يتأخر عنه أحيانًا. وعلى أساس اللحن تُردّد المجموعة "الرّدة" بعد أن ينتهي النائح أو الرادود من إنشاد مقطع من قصيدته[٤].

وفي ما يخص استخدام السلاسل، فإن ذلك يتم في موكب يسمى بموكب الزنجيل أو السلاسل، وهو يتألف من جماعة من الرجال مكشوفي الظهور والرؤوس فقط، بأيديهم سلاسل الحديد يضربون ظهورهم بها بدل الأيدي. عليهم الثياب السود، وأمامهم وخلفهم الأعلام المسوّدة، يمشون بهدوء وسكون، ينشدون أناشيد الحزن، ويخرجون صفوفًا متكاتفة، مخترقين الأزقة والجوادّ العمومية[٥].

---

(١) الكعبي، محسن مدلي، الشعائر الحسينية ودورها في الحفاظ على الهوية الشيعية، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٦، ص١١٨-١١٩.

(٢) الكعبي، الشعائر الحسينية، ص١٢٠.

(٣) الحسون، محمد، رسائل الشعائر الحسينية، ط١، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، ٢٠١١م، ج١، ص٤٢٧، ٤٢٩.

(٤) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٣٩٤-٣٩٥.

(٥) المظفر، نصرة المظلوم، ص٥٧.

وهناك استخدام لآلة أخرى، وهي القامة، في موكب يُعرَف بموكب القامات، ويتألف من جماعة من الرجال يلبسون الأكفان البيض وبأيديهم القامات، وبها يضربون مقدّم الرأس ضربًا تتناثر منه قطرات الدم على الأكفان تلك، وهذا الضرب وبحسب شهود عيان من كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، يقوم به كبراء الموكب بسكين دقيقة يجرحون بها أغلب الأفراد المشاركين، جرحًا خفيفًا، ثم يسيرون هؤلاء صفوفًا متكاتفين متلازمين كأنهم حلقات سلسلة واحدة، كلٌّ قد أخذ بيده الأخرى حُجزة الآخَر، يخترقون الشوارع على هذه الهيأة، حفاة الأقدام، حسِّر الرؤوس[1].

(١) المظفر، نصرة المظلوم، ص٥٨-٦٠.

المبحث الثالث:

إطعام الزائرين

إن بعض الشعائر لها ارتباط بمظاهر الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد التي يتصف بها أهل أي منطقة والخلفية الثقافية التي يتصف بها ذلك المجتمع، وهذه الأمور أثّرت أثرها بشكل تدريجي[١].

ويمكن القول: إن إطعام الزائرين ارتبط بطبيعة العرب وصفة الكرم التي لازمتهم في حياتهم العامة واستقبال الضيف وإكرامه، وقد عزّز الإسلام هذه الصفة وزادها رسوخاً، فقال تعالى: Πوَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًاO[٢].

وكان النبيν يحث المسلمين على الإنفاق وإطعام الفقراء والمساكين وإكرام الضيف، فقال رسول اللهν: ((مَن أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاثة جنان في ملكوت السموات))[٣].

كذلك أكد الأئمةβعلى إطعام الطعام، فقد سُئلَ الإمام محمد بن علي الباقرφ: ((ما يعدل عتق رقبة؟ فقال: "إطعام رجل مسلم"))[٤].

وعن الإمام الصادق أنه قال: ((لأن أطعم رجلاً من المسلمين أحبّ إليَّ من أن أطعم أفقًا من الناس))، فقيل له: وما الأفق؟ قال: ((مائة ألف أو يزيدون))[٥].

وهذا يؤكد أن إطعام الطعام عمومًا من الأمور المستحبة في الفقه الإسلامي ويزداد استحباب هذا العمل إذا كان في سبيل إحياء الشعائر الحسينية، ولم تخل سيرة

---

(١) جعفريان، رسول، الشعائر الحسينية النشأة والتطور، حوار مع مجلة الإصلاح الحسيني، العدد الثاني عشر، السنة الثالثة، النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٤٥.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٣) الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٠٠.

(٤) الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٠٣.

(٥) الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٠٠.

أهل البيتβ من هذا الفعل[١]، وقد ذكرتُ في ما تقدّم من الدراسة أن الإمام زين العابدينφ كان يصنع الطعام بيده للمأتم الحسيني[٢].

ومن السُّنة إطعام الطعام في المأتم، فكان رسول اللهν يوصي المسلمين بذلك، كما أن الإمام الباقر φ أوصى بتخصيص ثمانمائة درهم تُنفَق في مأتمه[٣].

من هنا فالولائم في عاشوراء وغيره هي استمرار لتلك السنة ولذلك الفعل الذي قام به الإمام زين العابدينφ، كما شجّع الإمام الصادقφ على إنفاق الأموال في القضية الحسينية، وكان يدعوا لهؤلاء المُنفقين بالمغفرة والحفظ وكل خير[٤].

وتاريخيًا، قد ذكر ابن بطوطة في رحلته إلى كربلاء أنها مدينة صغيرة تحفها حدائق النخيل، وفيها زاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر، وهذا يعني أن الزاوية الكريمة هي دار الضيافة التي كان يوزع فيها الطعام للزائرين والفقراء ويصرف عليها من موقوفات الإمام الحسينφ[٥].

لقد أخذ الإطعام في يوم عاشوراء صورته الظاهرة والشعار في أيام عاشوراء وسائر المناسبات المرتبطة بشهادات الأئمةβ، وعرف الشيعة هذه الشعيرة الحسينية وأصبح قصد المأتم للتبرك بالطعام المعدود باسم الإمام الحسينφ فيأكل منه الفقراء والأغنياء على حد سواء، وأصبح الإطعام من لوازم المأتم الحسيني ويعتمد على إنفاق الشيعة ونذوراتهم قربة إلى الله تعالى وحبًا بآل البيتβ ويشكّل عطاء المؤمنين والمحبين صندوقًا مستقلًا لدعم مسيرة العزاء وشعائر المدرسة الجعفرية[٦].

---

(١) الصفار، الحماية الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، ص٧٥.

(٢) البرقي، المحاسن، ج٢، ص٤٢٠.

(٣) الكليني، الكافي، ج٣، ص٢١٧.

(٤) ينظر: الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٨٢.

(٥) ال نصر الله، عبد الصاحب ناصر، كربلاء في أدب الرحلات، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠١٣م، ص٤٤-٤٥.

(٦) بادي، الشعائر الحسينية، ص٤٠-٤٢.

إلى جانب ذلك يوجد السقّاء، وهو الذي يقوم بسقي الزائرين بالماء ليروي ظمأهم، وهذه السقاية معروفة عند العرب وأما في كربلاء فورد أن الإمام الصادقφ كان يُشجّع عليها، فقال: ((مَن سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسينφ كان كمَن سقى عسكر الحسينφ وشهدَ معه))[١]، ومن المؤكّد أن لهذا الحديث كان له أثره في تقديم الشيعة لهذه الخدمة، ومن ذلك الوقت أصبح السقي من مظاهر الشيعة في شهر محرم الحرام[٢].

وفي عام(١٠١٣هـ/١٦٠٤م) شاهد الرحالة البرتغالي بيدرو تيخيرا السقاة الذين كانوا يسقون الماء للناس في سبيل الله طلباً للأجر والثواب وإحياء لذكر الإمام الحسينφ، وذكر أنهم كانوا يدورون بقِرَبِهم الجلدية المملوءة بالماء ويحملون بأيديهم طاسات نحاسية جميلة[٣].

وذكر آل طعمة أن السقائين كان لهم موكب خاص ينطلق من خان الباشا ويخرجون لسقاية الزائرين بالقرب الجلدية ثم انتشرت الجرار الفخارية بعدها[٤].

وفي عام(١٢٣٠هـ/١٨١٤م) ذكر أحد الزائرين مشاهدته تقديم القهوة للزائرين في ذكرى استشهاد فاطمة الزهراءη في كربلاء[٥]. وهذا يعني أن القهوة كانت تُوزّع أيضاً.

ومن الأكلات التي توزع أكلة الهريسة وقد أُعدّت من قِبل أهالي كربلاء ومناطق العراق أيضاً، واشتهرت في كربلاء أسرة آل الددة في توزيع هذه الأكلة بكميات كبيرة في التكية البكتاشية في الصحن الحسيني[٦].

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) بادي، الشعائر الحسينية، ص٤٠-٤٢.

(٣) ال نصر الله، كربلاء في أدب الرحلات، ص٧١.

(٤) ال طعمة، الموروثات والشعائر، ص٩٧.

(٥) الجبوري، العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية ، ج٣، ص٨٤.

(٦) ال طعمة، الموروثات والشعائر الحسينية، ص٧٠.

ومن جهة أخرى كانت الأميرة الهندية تاج دار باهو تطعم الزائرين والمعزين وغيرهم في يوم العاشر من محرم من كل عام، ومن الأطعمة الشهيرة التي تقدمها طعام البرياني وهو بالغ التكاليف آنذاك، أما الأشربة فأشهرها الحليب المُطعّم بالزعفران والفستق والسُكر[١].

ومن الأطعمة الأخرى التي كانت توزع على الزائرين وفي ليلة تاسوعاء الكبد المشوي والسمك المشوي تعويضاً عن الدم الذي ينزف من رؤوس المطبّرين[٢].

وكان رجال منطقة البلوش ينصبون عزاء البلوش ويعدون الغداء بعد الانتهاء من عزاء طويريج، ويتبرع بالطعام رجال البر والإحسان، فضلاً عن ذلك تجد المبرّات والخيرات ومقادير كبيرة وفيرة من الطعام توزع في أنحاء المدينة من قبل عامة الناس كالحليب والشاي وماء الورد والعطور والرز والمرق ولفات رغيف الخبز والفواكه[٣].

ويشهد شهري محرم وصفر انتشار القدور ومواقد النيران التي توضع عليها أباريق الشاي ودلال القهوة، وكذلك تُنحَر الذبائح وتتعدى هذه الأيام لتشهد كربلاء في المناسبات الأخرى تقديم هذه الأطعمة وعلى رأسها أكلات التمن والقيمة، والسمك، والتمن المخلوط بالباقلاء، وحتى في شهر رمضان تُقام موائد الإفطار على نهج أيام عاشوراء[٤].

ومن الاكلات الشعبية الشهيرة الأخرى الشلّة، فكانت تُجمَع الأموال من الموسورين وعامة الناس أحياناً، حيث إذا سرتَ في الطرقات يلوح لك علم أخضر اللون مرفوع على الطرقات أو تراه معلّقاً على باب حانوت أو دار وبجانبه قدر كبير ومنديل أخضر

---

(١) ال طعمة، تاريخ مساجد كربلاء وحسينياتها، ص١٥٩.

(٢) ال طعمة، المورو ثات والشعائر في كربلاء، ص٧٣.

(٣) ال طعمة، الموروثات والشعائر، ص٨٧.

(٤) ال طعمة، سلمان هادي، نصوص كربلائية، مخطوط محفوظ في خزانة المؤلف، (بلا ترقيم).

وصينية كبيرة عليها البصل والبقوليات استعدادًا لعمل الشلّة الزردة والرز والقيمة يوم (٢٥ محرم) وهو تاريخ استشهاد الإمام زين العابدينφ[١].

(١) ال طعمة، الموروثات والشعائر، ص١٠٧.

الفصل الرابع:

المبحث الأول: عزاء طويريج

المبحث الثاني: عزاء التطبير

المبحث الثالث: موكب عزاء أطراف المدينة

المبحث الأول:

عزاء طويريج

عزاء طويريج هو من الطقوس العاشورائية التي ظهرت متأخرة، وأصبحت اليوم واحدة من أكبر التجمعات البشرية التي تحدث حول العالم وتقام سنوياً ظهر يوم العاشر من محرم لأحياء مراسيم استشهاد الإمام الحسينφ، ويشارك فيها ملايين الزائرين من داخل العراق وخارجه، وترجع تسميته نسبة إلى (قضاء طويريج) التابع لمدينة كربلاء المقدسة ومنه انطلق هذا العزاء–كما سأوضّح ذلك.

ويبدو أنه لا يوجد تاريخ محدد لتأسيس عزاء طويريج، فيُرجِع أحد الكتاب المتأخرين تاريخ عزاء طويريج إلى (الشريف الرضي)[١] في عاشوراء سنة(٣٨٦هـ/٩٩٦م)، حيث توجه على عادته إلى كربلاء المقدسة ووقف على قبر جده الإمام الحسينφ وشاهد الجماهير المحتشدة عنده وقد ساورها الوجدان والحزن والأسى على مصاب الإمامφ فهرع إليها مهرولاً وارتجل مقصورته[٢]:

كربلاء لا زلت كرباً وبلا

ما لقي عندك آل المصطفى

كم على تربك لما صرعوا

من دم سال ومن دم جرى[٣]

وقد ورد أنه قال القصيدة المذكورة في عرفة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)[٤].

في حين ذكر محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ/١٨٧٧-١٩٥٣م) أن السيد الشريف الرضي ورد إلى كربلاء لزيارة جده الإمام الحسينφ، يوم عاشوراء في إحدى السنين ورأى جماعة من الأعراب ينوحون ويلطمون متهافتين على الحائر

---

(١) الشريف الرضي: وهو ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف الرضي شاعر وعالم فقيه، يرتقي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظمφ، ولد عام (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)، درس النحو قبل أن يبلغ عشر سنين، وحفظ القرآن الكريم. وسكن سامراء، وتوفي في بغداد عام سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قُم، ١٣٦٤هـ، مج٤، ص٤١٤-٤٢٠.

(٢) الكرباسي، محمد صادق، تاريخ المراقد (دائرة المعارف الحسينية)، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ١٩٩٨م، ج٣، ص٢٧.

(٣) ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٦٧.

(٤) الكرباسي، تاريخ المراقد، ج٣، ص٢٧.

الحسيني فدخل في زمرتهم وأنشأ في ذلك الحال على البديهية قصيدته الغراء[١] المذكورة أعلاه، إلّا أنني لم أجد سنداً تاريخياً دقيقاً يؤكد ذلك.

وتُرجِع الرواية الثانية تاريخ العزاء لأكثر من مائتي سنة أي في (القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي، حيث كان ثلة كبيرة من أهالي طويريج وهم من الأعراب الساكنين في الخيام وكانوا يشكلون هذا العزاء من المحل المتوسط بين كربلاء والحلة ويأتون على شكل مجموعة من الزائرين المعزين، ويخرجون من مكانهم في الصباح الباكر مشياً على الأقدام ويَصِلُون كربلاء وقت الظهر وهم ما بين صارخ ونادب ومعول وباكٍ ومنادٍ ولاطم ومفجوع وثاكل، يلطمون على صدورهم ورؤوسهم، ويصرخون: يا حسين يا حسين، تلك الجماهير الغفيرة المحتشدة تجذب القلوب وتحرقها وتُسبل الدموع وتفجّرها، وما أن يلوح منهم سواد حتى تعلو أصوات أهالي كربلاء: يا حسين يا حسين، ويلطمون على صدورهم ورؤوسهم ويشاركون المصاب والخَطْب الجسيم والرزء الذي أبكت له الحور والجنان والحيتان في البحار والطير في السماء، أجَل حتى الصخر تفجّر بكاءً وتفجّر دمًا على هذه الرزية[٢].

وذكر أحد العلماء أن السيد مهدي بحر العلوم[٣]، كان يشترك في عزاء طويريج ويسير معه منذ البداية تشجيعًا منه للجمهور لتعظيم الشعائر الحسينية

---

(١) الحسون، رسائل الشعائر الحسينية، ج١، ص٤٥٤.

(٢) القريشي، محمد علي داعي الحق، ضحايا عزاء الحسينφ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ، ص٢٦.

(٣) السيد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد محمد بحر العلوم الطباطبائي ينتهي نيبه إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط ع ولد في كربلاء سنة (١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م) ومن اساتذته الوحيد البهبهاني ويوسف البحراني ومن تلامذته حسين نجف والشيخ أحمد النراقي وج عفر كاشف الغطاء، لقب بصاحب الكرامات، توفي عام (١٢١٢هـ/١٧٩٧م)، ودفن في مسجد الطوسي. للمزيد من التفاصيل يُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، حققه واخرجه وعلق عليه حسن الأمين، ج٨، بيروت دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣م، ص١٦٤.

المقدسة بأي شكل من الأشكال، ولما سأل البعض السيد عن سبب اشتراكه معهم فقال: إني رأيتُ الإمام الحجة المهديϕ مع هذا العزاء[١]، ولكن ليس لهذه الرواية مصدر سوى ما تناقلته أفواه الخطباء وأول مَن سجلها كما سمعها هو محمد علي داعي الحق عام(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)[٢]. والصحيح أن مدينة طويريج تأسست بعد وفاة بحر العلوم بسبعين عاماً، ولم يكن العزاء في عهده قد تأسس في عهده وإنما بعد وفاته[٣].

ويُرجِع آل طعمة تاريخه إلى عام(١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) ومن مؤسسيه السيد هادي القزويني والحاج عبود وآخرين[٤].

في ما ذكر أحد الكتاب أن هذا العزاء أسس نفسه بنفسه لِما يحمله من عفوية وصدق مشاعر وولاء، وقد كان السيد صالح القزويني[٥] يُحيي مواسم عاشوراء في داره بطويريج، ويتوافد أهالي البلدة ويحضرون في مجلسه كل عام، وفي صبيحة اليوم العاشر من محرم الحرام كان يقرأ بنفسه (مقتل الإمام الحسينφ)، ويحضر ما يناهز عشرة آلاف شخصاً من الرجال فقط، ثم يذهب المجتمعون إلى كربلاء مشيًا

---

(١) الشيرازي، صادق الحسيني، نفحات الهداية، كربلاء، دار صادق للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م، ص١١٤.

(٢) القريشي، ضحايا عزاء الحسينφφ، ص٢٨.

(٣) القزويني، جودت، تاريخ عزاء طويريج، بيروت: دار الخزائن لإحياء التراث، ٢٠١٤م، ص٤٥-٤٧.

(٤) ال طعمة، سلمان هادي، الموروثات والشعائر في كربلاء، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٣٣م، ص٨٣.

(٥) صالح القزويني: وهو ابن السيد مهدي الحسيني القزويني، ولد في الحلة سنة (١٢٥٧هـ/١٨٤١م) وأمّه بنت العلامة الشيخ علي جعفر كاشف الغطاء، لقب بالمرزه وهو وأخيه الأكبر السيد جعفر دون أخويهما، نشأ في الحلة وانتقل إلى النجف لإكمال دراسته الدينية وحضر في الفقه والأصول عند الشيخ مرتضى الأنصاري، وبعد وفاة أبيه عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)، تصدى للبحث والتدريس. وتوفي عام (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م). القزويني، جودت، تاريخ عزاء طويريج، ص٧٣-٧٥.

على الأقدام، وهي تبعد (١٥ كم عن كربلاء)، فيدخلونها بعد وقت الظهر بساعة، وكان السيد صالح يمتطي صهوة جواده محاطًا بالجموع الحزينة، وقد سرى هذا التقليد إلى أبنائه بعد وفاته عام (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)[١].

وفي إحدى السنوات وعندما وصل السيد صالح القزويني لقراءة المقتل ضجّ المجلس بالبكاء والعويل وفقدَ المعزون السيطرة على أنفسهم لهول المصيبة وعظمها وما جرى من مصائب ومِحَن على أبي عبد الله الحسينφ وعندها طلب المعزّون من السيد التوجّه إلى كربلاء المقدسة مشياً على الأقدام، وتقديم التعازي لسيد الشهداءφ في ضريحه المقدس، فجيء بفرس وامتطى السيد القزويني جواده وانطلق ومَن معه من المعزّين إلى كربلاء، وعند وصول الموكب إلى قنطرة السلام رُفِعَ آذان الظهر فتوقف السيد ومعه الموكب وأدّوا صلاة الظهر والعصر، بعدها رفع المعزون السيد صالح على الأكتاف وتوجّهوا به صوب كربلاء، وفي السنة الثانية أخذ المعزون بالتجمع في دار السيد القزويني منذ منتصف الليل وعندها انطلق السيد ممتطياً صهوة جواده وخلفه أهالي الهندية متجهين صوب كربلاء المقدسة مشياً على الأقدام واتخذ هذا المسير تقليداً سنوياً حتى يومنا هذا، وصار أهالي كربلاء والزائرون يستقبلون الموكب في قنطرة السلام وينطلقون نحو المرقدين المقدسين في كربلاء[٢]

وينطلق العزاء بعد صلاة الظهر والعصر من مشارف كربلاء عند قنطرة السلام متجهاً نحو مرقد ابن الحمزة الشارع الموازي لشارع الجمهورية الحالي مروراً بسوق الصفارين ويدخل سوق العلاوي وسوق التجار الكبير ثم العتبة الحسينة عن طريق باب قاضي الحاجات ويخرج منها إلى صحن سيدنا العباسφ باتجاه سوق القيصريات ثم سوق التجار ويقطع شارع الإمام علي وسوق العباس أو الصاغة حتى

---

(١) جودت، تاريخ عزاء طويريج، ص٣٦-٣٧.

(٢) الشمري، ثامر مكي علي، والقريشي، عبد الأمير، عزاء طويريج دراسة تاريخية، مجلة السبط، العدد الثاني، السنة الأولى، ٢٠١٦م، ص١٥.

يصل إلى صحن العباس ويخرج من باب قبلة العباس نحو شارع القبلة حتى يصل إلى ساحة المخيم الحسيني ويتم هناك إحراق الخيام الرمزية المنصوبة تمثيلاً للواقعة[١].

ومما يجدر ذكره أن هذا المسار تم تغييره عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) بأمر سماحة المرجع السيد محسن الحكيم بسبب الحادثة التي وقعت[٢] عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) فقد أرسل نجله الأكبر السيد مهدي الحكيم ليتقدم المعزين وهم يسلكون الطريق الجديد، حيث سلك العزاء شارع الجمهورية وساحة الزهراء وشارع قبلة الإمام الحسينφ ثم الصحن الحسيني من باب القبلة ثم يخرج من باب الشهداء متوجهاً إلى مرقد الإمام العباسφ عن طريق شارع علي الأكبر ويدخل الصحن من باب الإمام الحسنφ. ويبدأ انطلاق هذا العزاء الجماهير في الساعة الثانية عشر ظهراً بعد صلاة الظهر يوم عاشوراء وتكتظ الطرقات والشوارع والأسواق بزخم بشري هائل لا سيما الطريق المؤدي إلى طويريج استعداداً لاستقبال الموكب القادم من هناك، وقبل انطلاق العزاء تكون الجماهير على شكل حلقات وفي وسطها رادود يلقي اشعار حسينية مع اللطم وتستمر بذلك حتى انطلاق الموكب، ويبدأ الموكب من

---

(١) الشمري، والقريشي، عزاء طويريج دراسة تاريخية، ص١٦.

(٢) وقعت أحداث عدّة رافقت العزاء منها على سبيل المثال: في عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) وعند مدخل الصحن الحسيني اصطدم الراكضون بعزاء السقاية الذي كان يريد الخروج من الصحن وأطلقت بعض العيارات النارية من دون إصابات وتلاشى عزاء السقاية واستمر عزاء طويريج. وكانت هذه الحادث من تدبير السلطة آنذاك، لأنها سمحت لعزاء السقاية بالتواجد في الصحن الحسيني الشريف.

وفي عام (١٣٣٦هـ/١٩١٧م) وقعت حادثة مع الاحتلال البريطاني الذي حاول زعزعة أمن ومسير العزاء لكنه فشل.

وفي عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) وقعت حادثة أخرى بين ال جباس وال جميل. للمزيد من التفاصيل ينظر: آل طعمة، صادق، تاريخ عزاء طويريج، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٧م، ص٤٩-٥٢.

قنطرة السلام، على حافة نهر صغير يخترق البساتين خارج حدود كربلاء بكيلومتر واحد وعندما يشرع المؤذن بآذان الظهر يقف السيد القزويني القادم من الهندية طويريج ليصلي جماعة وبعد أدائه الصلاة يركب فرسه ويهرول خلفه الحشد الجماهيري الذي جاء من كافة أنحاء العراق وهم لا يحملون أشياء تثقل كاهلهم باستثناء بعض الأعلام والرايات الحسينية متجهين صوب مرقد الإمام الحسينφ[1].

المبحث الثاني:

(١) سلمان هادي ال طعمة، الموروثات والشعائر، ص٨٣-٨٤.

عزاء التطبير

من الطقوس العاشورائية التي ظهرت متأخرة في تاريخ العزاء الحسيني هي مواكب التطبير والإدماء، وتخرج مواكب التطبير في صباح يوم عاشوراء، على شكل مجموعات ويرتدي المعزون الأكفان[١]، ويحملون قامات أو سيوفاً ويقومون بضرب رؤوسهم مع ترديد كلمات (حيدر، حيدر) مع دق الطبول ومزامير الحرب[٢].

إن دراسة تاريخ التطبير، يتطلب معرفة أصل ومنشأ هذه الظاهرة، وبدايتها، وقد واختلفت الروايات حول ذلك، فيُرجع بعض المتأخرين التطبير لمراحل متقدمة بعد استشهاد الإمام الحسينφ، اعتماداً على بعض الروايات أو الأحداث التاريخية منها: أن أحد أصحاب الإمام الحسينφ وهو الهفاف بن مهند الراسبي وصل متأخراً عصر يوم عاشوراء إلى كربلاء وشاهد رؤوس الشهداء مقطعة فحزن عليهم، ورفع

(١) الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٦١.

(٢) الموسوي، أصل وتاريخ الشعائر الحسينية، ص١٢٩.

سيفه وضرب رأسه، ومن ثم فإن البويهيين أشاعوا هذه الشعيرة في عهدهم[١]، إلا إنني أرى أن التطبير من الظواهر والطقوس العاشورائية التي ظهرت متأخرة، ولم تكن موجودة زمن الأئمةβ وما بعدهم في القرون الأولى، وإنّما قد تعود نشأتها—كما ذكرتُ سابقًا- إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كما ورد في بعض المراجع[٢].

وقد اختلف المؤرخون في أصلها فهناك مَن ينسبها إلى الأتراك الأذربيجانيين استناداً إلى طبيعة الشعارات التي ترافق المعزين والكلمات التي تستعمل في اللغة التركية، ومنهم مَن يرى أنها ولدت في بلاد فارس وانتشرت في العهد القاجاري[٣]، وهناك مَن ينسبها إلى الأتراك الإيرانيين في أواسط القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي[٤].

وأيّد ذلك أحد الباحثين بأن الإدماء والتطبير لم تُعرَف مراسيمه في البلاد العربية إلّا في القرن المذكور، وكانت مراسيم الإدماء معروفة في القوقاز الجنوبي منذ عام(١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)، وأصلها من روسيا ثم قام رجل إيراني بنقلها إلى الشيعة حين دُهِشَ من طريقة التعبير عن الحزن لدى بلاد الروس، فانتقل من بلاد فارس إلى سائر البلاد العربية[٥].

وعلى ما يبدو أن مراسيم التطبير ظهرت في العهد الصفوي، وقد أكد ذلك المفكر (علي شريعتي) بأن الشاه إسماعيل الصفوي لما استحدث منصب وزير

---

(١) زميزم، سعيد رشيد، تاريخ الشعائر الحسينية، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٧، ص٦٣-٦٦.

(٢) ينظر: الرستم، التطبير والإشكالية المزمنة، ص١٨.

(٣) الشامي، مقدمة في الإصلاح والتجديد لشعائر الحسينية، ص١٨٣-١٨٤.

(٤) عوض، عبد الرضا، جذور الشعائر الحسينية في الحلة، دار الفرات، بابل، ٢٠١٤م، ص٥١.

(٥) بادي، المصيبة الراتبة، ص٦١٨.

الشعائر الحسينية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وأرسله إلى أوروبا الشرقية، فكان هذا أول التماس حضاري بين إيران والغرب، وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحية وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلك حتى أنماط الديكورات التي كانت تُزيَّن بها الكنائس واقتبس تلك المراسيم والطقوس وجاء بها إلى إيران وقد استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها، لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية بما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، فأدى إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسيم المذهبية لم تكن معروفة سابقاً في الشعائر الإسلامية، وذكر شريعتي من بين تلك المراسيم التطبير واستخدام الآلات الموسيقية وأطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرادى وهي مظاهر مستوردة من المسيحية[١].

وهناك رأي يقول: إن المؤسس لهذه الظاهرة هو الفاضل الدربندي الذي روّج لها في أوساط الفرس والأتراك ونظر لهذا العمل بأنه مُوجِب للثواب وألّف كتاباً بعنوان (أسرار الشهادة) وهو يحتوي على قصص مختلفة ليس لها دليل[٢].

وذكر كاتب مقيم في طهران عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) أنه شاهد مجموعة يرتدون ثياباً بيضاء تشبه الأكفان وفي أيديهم قامات وسيوف وإذا بهم يضربون رؤوسهم فتسيل الدماء منها وتصبغ ثيابهم باللون الأحمر[٣].

وينفرد الكاتب زميزم بنقل روايتين عن المرحوم الشيخ موسى الشماع أحد خدمة مرقد الحضرة العباسية المولود في كربلاء عام(١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) والمتوفى عام(١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، نقلاً عن والده الشيخ بشير الشماع وهو من خدمة المرقد

---

(١) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص٢٠٨.

(٢) الشامي، مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية، ص١٨٥-١٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٣-١٨٤.

العباسي أنه في عام(١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) وهي سنة ميلاد ولده الشيخ موسى جاء مجموعة من الزوار القفقاسيين من أواسط آسيا الصغرى وهي من مناطق روسيا وتسمى اليوم الجمهوريات الإسلامية القفقاسية التي تضمن اليوم: (أذربيجان وتركمانستان وقرقيزيا وداغستان الشيشان وابخازيا)، وغيرها إلى كربلاء وصادف يوم وصولهم يوم العاشر من محرم وكانت مراسيم العزاء في ذروتها وكان هؤلاء يحملون معهم السيوف والقامات وكانوا يستخدمونها في الطريق خوفاً من هجوم العصابات فاستقبلهم أحد خطباء المنبر الحسيني وكان يجيد اللغة التركية وطلب منهم الجلوس والاستماع إلى قراءة القضية الحسينية وفي أثناء القراءة تطرق إلى ما تعرّض له الإمام الحسينφ من مصيبة وقتل الطفل الرضيع وحرق الخيام وأثناء القراءة انفعل أحدهم وقام بضرب رأسه بالقامة وهو يصيح حيدر حيدر حتى سقط وعندما رأى أصحابه هذا المشهد قاموا بضرب رؤوسهم[١].

وفي السنة الثانية قام مجموعة من الزوار الأتراك والفرس والهنود وانضم إليهم عدد من أبناء مدينة كربلاء المقدسة وأبناء الكاظمية والمدن الأخرى وقاموا بضرب رؤوسهم، وكانت القنصليات الفارسية والروسية والبريطانية يشرفون على عملية التطبير لتسهيل مهمة جالياتهم التي كانت تأتي لزيارة الإمام الحسينφ وأن أهالي مدينة كربلاء حذوا حذوهم بتشكيل هيئات[٢].

وقد ذكر شاهد عيان في كربلاء مشاهدته للتطبير عام(١٣٣١هـ/١٩١٢م)، مبيناً أنه كان يجري قبل عقد أو أكثر من الزمن، ووصف مراسيمه التي تبدأ في يوم عاشوراء بتحليق الرأس من الوسط، ويتجه نحو الجبهة إلى القفا، ثم يلتحفون بثوب أبيض يميزهم عن سواهم من الجمع إلا أنه لا يبقى مدة طويلة ببياضه الناصع، ويصبح ذو لون أحمر من الدماء، ويحملون بأيديهم سيفاً، ويسيرون إلى الصحن

---

(١) زميزم، تاريخ الشعائر الحسينية، ص٦٣-٦٦.

(٢) زميزم، تاريخ الشعائر الحسينية، ص٦٣-٦٦.

ويجتمعون في المخيم غرب المدينة وبعد تجمعهم فيه يضربون رؤوسهم بالسيوف مدة ساعة ثم يخرجون إلى صحن الإمام الحسينφ، وعند الخروج يأخذ من أيديهم السيوف رجال من الحكومة العثمانية والبريطانية والإيرانية والروسية ويعطوهم عوضها جرائد نخل وإذا أبى أحدهم إعطاء سيفه انتُزع منه قهراً، ويُودِع كل من الجرحى سيفه رجال دولته[١].

وكان الصحن المقدس يغص بمَن فيه من تكاتف الجمع وازدحامه ويضيق المقام بمَن فيه ويحاولون رؤية الواقعة فيصعدون إلى الطارمات والمماشي والمشارف والسطوح والدور ليشارفوا المشهد أتم المشارفة وعدد الزوار لا يقل عن ٢٠ إو ٢٥ ألف زائر. وأنت تُشاهد هذا الجمع ترى في وسطه فرساناً عليهم ثياب بيضاء وتحتهم جياد بيضاء وهناك في مكان للنساء متحجبات أشد الحجاب. يصطف الجمع على هيأة نصف دائرة وينادي أحدهم بكلمات حسينية أو ما نطق به الإمام ليضربوا أنفسهم الضربة الأولى ثم يزداد تحمسهم بما يسمعونه من الألحان والدعاء وما يتلفظ به الجمع من كلمات ثم يطوفون في المدينة ليشاهدهم الناس[٢].

---

(١) مركز إحياء التراث في العتبة العباسية المقدسة، كربلاء في مجلة لغة العرب، دار الكفيل كربلاء، ٢٠١٤م، ص٨٣.

(٢) مركز إحياء التراث، كربلاء في مجلة لغة العرب، ص٨٤-٨٨.

المبحث الثالث:

مواكب عزاء أطراف المدينة

لقد ذكرتُ في ما سبق من الدراسة أن البويهيين هم الذين وسّعوا دائرة الحزن، فكانوا قد أخرجوا المواكب الحسينية إلى الشوارع، فكان المشاركون في مواكب العزاء يندبون سيد الشهداءφ وبأيديهم المشاعل ليلا حتى تعود بغداد وطرقاتها ضجة واحدة وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[١].

وأما في ما يخص المواكب في كربلاء، فيمكن الرجوع إلى تاريخ الأطراف نفسها لتحديد تاريخ تأسيس مواكبها.

تتكون كربلاء من سبعة أطراف أو محلات سكنية وهي: (محلة باب النجف[٢]، ومحلة باب الطاق[٣]، ومحلة باب السلالمة[٤]، ومحلة باب بغداد وكان

---

(١) الحسون، رسائل الشعائر الحسينية، ج١، ص٤٥٤.

(٢) محلة باب النجف: سميت بذلك نسبة الى الباب المؤدي الى مدينة النجف الاشرف، ويقع في الجهة وسط المدينة القديمة بين الحرمين الشريفين، وتتوسط الأطراف الستة، وكانت تعرف باب المشهد. للمزيد من التفاصيل ينظر: الأنصاري، رؤوف محمد علي، عمارة كربلاء، دراسة عمرانية وتخطيطية، مؤسسة الصالحاني، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٠٧.

(٣) محلة باب الطاق: أو تسمى طرف باب الطاق وتقع في الجهة الغربية من مدينة كربلاء وهو أحد الأطراف السبعة في المدينة القديمة وسُمّيت بذلك نسبة إلى وجود طاق الزعفراني وطوق اخرى. الأنصاري، رؤوف محمد علي، عمارة كربلاء ص١٠٧.

(٤) محلة باب السلالمة: وهي من اقدم محلات كربلاء تقع شمال مرقد الإمام الحسينφ وهي تشغل مساحة الجهة الشمالية من المرقد الحسيني المقدس، وسميت بذلك نسبة إلى عشيرة

يعرف باب العلوة[١]، ومحلة باب الخان[٢]، ومحلة المخيم[٣]، ومحلة العباسية[٤]). وقد تشكلت هذه التقسيمات بعد بناء سور كربلاء الأخير عام(١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م)[٥]، أي في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وهذا يعني أن هذه المواكب تأسست بعد هذا التاريخ.

وقد وردت أسماء مواكب هذه الأطراف السبعة، في أقدم وثيقة تعود إلى عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، وقد تضمنت أسماء مواكب الأطراف السبعة ومنهاج سيرها

السلالمة من قبيلة شمر العربية التي كانت وما زالت من أقدم العشائر التي تسكنها. ال نصر الله، عبد الصاحب، بيوتات كربلاء القديمة، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠١١م، ص٢٢٣.

(١) محلة باب بغداد: وكانت تسمى محلة باب العلوة، لوجود علوة خضار فيها، وسُمّيت باب بغداد، لموقعها على الطريق المؤدي إلى بغداد، وتقع في الجهة الشمالية في مدينة كربلاء. ال طعمة، سلمان، الأصول التاريخية لأسماء مواقع كربلاء، مخطوط محفوظ في خزانة المؤلف(بلا ترقيم).

(٢) محلة باب الخان: أحد المحلات السكنية في كربلاء القديمة، سُمّي بهذا الاسم لوجود خان أُقيم بالقرب من سور كربلاء، وتقع إلى الجانب الشرقي من المدينة. الأنصاري، عمارة كربلاء، ص١٠٤، ١٠٧.

(٣) محلة المخيم: تقع في الجانب الغربي من مدينة كربلاء وجنوب محلة باب الطاق، وسُمّيت بذلك لوجود مقام المخيم الحسيني فيها. الأنصار، عمارة كربلاء، ص١٠٧.

(٤) محلة العباسية: تقع جنوب شرق مدينة كربلاء وشرق شارع العباس وتجاور محلة باب النجف وباب الخان، أسسها الوالي العثماني مدحت باشا (١٢٨٦-١٢٨٨هـ/١٨٦٩-١٨٧١م)، عندما زار مدينة كربلاء ولاحظ انها بلدة صغيرة فأمر بضرورة بناء محلة جديدة وتنظيم خارطة بذلك سميت بالمدينة الجديدة ثم سميت بالعباسية. للمزيد من التفاصيل يُنظر: العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (د.ت)، ج٧، ص٢٠٠.

(٥) الأسدي، أحمد باسم، كربلاء من (١٧٤٩-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ص٢٠٩.

ووقت الخروج، وقد جاءت معها أسماء الهيئات الحسينية الأخرى والأصناف مثل الصفارين والعطارين[١].

ومن المعروف أن الهيئات والمواكب الأخرى قد ظهرت متأخرة وانشقت من المواكب الأم وهي مواكب الأطراف، وهذا يعني أن تأسيس مواكب الأطراف متقدم على التاريخ المذكور أعلاه.

وقد أُقيمَت في محلات كربلاء منذ القدم تجمعات سكانية عُدّت للمشاركة في العزاء الحسيني، وسُمّيت هذه التجمعات بالمواكب الحسينية، ويقوم أهالي المحلة بنصب (التكية) وهي المقر الذي يتواجد عندها أفراد الموكب، ومنها ينطلق العزاء، وتُبنى من الحديد والخشب، وتتوسط التكية مدرجات خشبية عالية تحوي العشرات من الأواني الزجاجية الملونة والمزودة بمصابيح كهربائية، أو الشموع سابقاً، وهذه المراسيم تقليد قديم يرمز لاستقبال موكب الإمام الحسينφ عند مقدمه إلى كربلاء[٢].

وينطلق أهالي المواكب كل يوم من أيام العشرة الأولى من محرم الحرام، على شكل تجمعات شعبية يتقدمها بعض علماء الحوزة العلمية وطلبتها ووجهاء المحلة ومختارها، ويسير الموكب باتجاه مرقد أبي الفضل العباسφ ثمّ يُختَم عند مرقد الإمام الحسينφ في الصحن الشريف، ومن أبرز المواكب التي أسُسَت في مدينة كربلاء القديمة هي مواكب الأطراف أو المحلات السبعة[٣] التي سبق ذكرها.

---

(١) وثيقة صادرة من مديرية شرطة لواء كربلاء، منهاج سير مواكب العزاء الحسيني، العدد٢/١٤، بتاريخ ١٩٢٩/٦/١٥م. محفوظة لدى عزيز الهر (مختار محلة باب السلالمة).

(٢) ال طعمة، الموروثات والشعائر في كربلاء، ص٢٦.

(٣) السعدي، انتصار عبد عون عبد عون محسن، الآثار والمظاهر الاجتماعية لمراسيم العزاء الحسيني في كربلاء، (مجلة تراث كربلاء)، كربلاء، العدد الثاني، السنة الثانية، ٢٠١٦م، ص٢١٤.

إن أقدم الإشارات التاريخية لتاريخ المواكب في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، تعود لمطلع ذلك القرن، وكان أول تلك المواكب (موكب اللطم) الذي يتكون من مجموعة من الرجال الذين يضربون بأيديهم على صدورهم المكشوفة[١].

وكان رؤساء المحلات والأطراف من أهل كربلاء يتجمعون ويخرجون عصراً في الأيام العشر الأولى من محرم الحرام والبعض الآخر بعد العشاء[٢]، وتسير المواكب في الطرقات وتُرفَع الأعلام الحسينية، والطبول والبوقات وتُقرأ فيها القصائد العامة وتُلطَم فيها الصدور أو تُضرَب الظهور بالسلاسل[٣] وفي ما يأتي مواكب الأطراف:

أوّلًا: موكب طرف باب النجف

إن طرف باب النجف أقدّم الأطراف السكنية في كربلاء المقدّسة، فهو مركز المدينة القدّيمة ويتوسط الأطراف الستة، ويقع في الجهة الجنوبية لساحة ما بين الحرمين الشرفين، لذا يمكن القول أن موكب طرف باب النجف هو من أقدم المواكب الحسينية في مدينة كربلاء المقدسة، وقد أُسّس عام(١٢٥٤هـ/١٨٣٨م) على يد مجموعة من الخيرين ووجهاء محلة باب النجف، لخدمة زائري الإمام الحسينφ وإحياء الشعائر الحسينية في كل عام. ويتخذ الموكب مقره وتنصب التكية الخاصة به قرب باب النجف، بداية شارع الإمام عليφ حالياً، وكان جامع البلوش المعروف (جامع الإمام عليφ) مقراً له[٤].

---

(١) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، ص١١١.

(٢) آل طعمة، الشعائر الحسينية، ص٣١٠.

(٣) الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص ٢٦١.

(٤) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع فاضل عبد الأمير بو دكة (كفيل الموكب)، ٩/ ٧/ ٢٠٢٢م.

أما ممارسات الطقوس الخاصة بالموكب فلا تختلف عن الأطراف الأخرى فتبدأ في اليوم الأول من شهر محرم، وتنصب التكية قبل محرم بأيام، وتنطلق الجموع المعزية راجلة على الأقدام، تهتف بردّات شعرية، متجهةً إلى مرقد أبي الفضل العباسφ ثمّ ما بين الحرمين، وتختم مجلسها في الصحن الحسيني طيلة العشرة الأولى من شهر محرم[١].

ثانيًا: موكب طرف باب الطاق

وهو أحد أقدّم مواكب التعزية الحُسينية في كربلاء المقدسة، تأسس عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٤م)، على يد مجموعة من وجهاء المحلة والأسر القديمة فيها مثل بني سعد وبني زنكنة الأسدي، والسادة ال قفطون، ومن المؤسسين القدّامى: المرحوم الحاج إبراهيم زنكي، ونعمة العبد، وعبد الشلاه، وهويدي السعدي[٢].

وقبل تأسيس الموكب كان العزاء يُقام في البيوت على شكل مجالس–كما مر ذكره–ثم تطورت الفكرة إلى الخروج والنزول بشكل جماعي منظّم، وكان مقره قديمًا قرب طاق الزعفراني في سوق باب الطاق، وهناك تُنصب التكية مع استهلال شهر محرم، وكانت تستخدم المشاعل النارية قبل دخول الكهرباء والمصابيح، ويسير الموكب يوميًا من مقره باتجاه الشارع المعروف بشارع صاحب الزمانϕ حالياً، وعكد أبو دية سابقاً، ويسيرون لمرقد أبي الفضل العباسφ ومنه إلى مرقد الامام الحسينφ[٣].

---

(١) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع فاضل عبد الأمير بو دكة (كفيل الموكب)، ٩/ ٧/ ٢٠٢٢م.

(٢) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع محمد جواد الخطيب ال قفطون، (كفيل الموكب ومختار طرف باب الطاق)، ٢٠٢٢/٨/٢٠م.

(٣) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع محمد جواد الخطيب ال قفطون، (كفيل الموكب ومختار طرف باب الطاق)، ٢٠٢٢/٨/٢٠م.

ثالثًا: موكب طرف باب السلالمة

أُسّس هذا الموكب عام(١٢٥٢هـ/١٨٣٦م) على يد مجموعة من وجهاء وخدمّة الإمام الحُسينφ من أهالي باب السلالمة ومنهم: المرحوم محمد شهيّب والمرحوم الحاج ضايع اليساري، وكان المعزون آنذاك يعقدون المجالس الحُسينية في بيوتهم، وكفلاء الموكب هم مختاري المحلة القدامى ومنهم عبد العزيز سلطان الهر، ثم ولده محمد علي الهر، ثم ولده علوان الهر ثم ولده عباس الهر ثم ولده عزيز الهر وما يزال[١].

وبعد تأسيس الموكب أخذوا ينصبون تكية في شارع السدرة قديماً، ثم انتقلوا بعد توسعته إلى شارع صاحب الزمان، وتبدأ التحضيرات بتحضير قبة القاسم والهودج، والقصائد الشعرية الحسينية، ثم يخرج المعزون من أهالي طرف باب السلالمة بعزاء الردّات الشعرية، ابتداءً من يوم الثالث إلى يوم الحادي عشر من محرم الحرام، وينطلقون على شكل مجموعات من مقر الموكب إلى مرقد أبي الفضل العباسφ ومن ثمّ إلى مرقد الإمام الحسينφ، ويُختَم عند التل الزينبي. ويستمر عزاء الموكب إلى ليلة الوداع ليلة عاشوراء، ويشارك في عزاء التطبير صباح يوم العاشر، ثم مراسيم عزاء طويريج، إلى يوم الحادي عشر من محرم وهي ليلة الوحشة حيث يقيم عزاء (شامي غريبان) وفيها توقد الشموع ويحملها المعزون بحالة من الحزن والأسى لفاجعة الطف ويتجهون إلى المخيم الحسيني[٢].

رابعًا: موكب عزاء طرف باب بغداد

أُسّس عام(١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) على يد مجموعة من الخيرين والوجهاء من أهالي محلة باب بغداد، لإحياء الشعائر الحُسينية وتوفير الخدمات لزائري الإمام

---

(١) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع عزيز الهر (مختار محلة باب السلالمة وكفيل عزاء باب السلالمة)، ٢٠٢٢/٨/٢٢م.

(٢) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع عزيز الهر، ٢٠٢٢/٨/٢٢م.

الحُسينφ، وكانت تكية الموكب تُنصَب بطرف باب بغداد قرب سور كربلاء القدّيم، حالياً مقابل باب العتبة العباسية المقدّسة المسمى بباب الإمام موسى بن جعفرφ، ويشارك أهالي طرف باب بغداد بإحياء الشعائر الحسينية والعزاء الحسيني، والخروج بعزاء التطبير يوم العاشر من محرم الحرام[١].

خامسًا: موكب طرف العباسية

أُسّس عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) على يد مجموعة من مختاري ووجهاء المحلة، منهم: الملا علي المختار والملا حيدر المختار[٢]، ولكن كفيل الموكب ذكر أن بدايته كانت متأخرة ففي عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) تم بناء أول تكية للموكب في شارع قبلة العباسφ مقابل بيت الراجة، ثم انتقل في عام (١٣٨٨هـ /١٩٦٨م) إلى شارع الجمهورية في ملك سعد قندي.

تولّى إدارة الموكب وكفالته عدّد من خدمة الإمام الحُسينφ من وجهاء منطقة العباسية، وهم: (الحاج محمد علي الجابع الصليخي منذ عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، ثم حمزة المختار، ثم رستم علي، ويشارك الموكب بإحياء العزاء الحسيني على الطريقة نفسها التي يقيمها أطراف المواكب الأخرى بالمسير والهتافات الحسينية وعزاء اللطم، وكذلك المشاركة في يوم عاشوراء بالتطبير، وعزاء طويريج، وليلة الوحشة، وإيقاد الشموع المعروفة بشامي غريبان، كما يشارك بإطعام الزائرين في عاشوراء ويستمر إلى زيارة أربعينية الإمام الحُسينφ.

سادسًا: طرف باب الخان

---

(١) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع محمد مهدي الشيباني (خادم في الموكب)، ٢٠٢٢/٧/١٦م.

(٢) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع حميد الوزني (كفيل عزاء طرف المخيم)، ٢٠٢٢/٨/١٩م.

تأسس على يد مجموعة من الخيرين وخدمة الإمام الحُسينφ من أهالي باب الخان، منهم من عشيرة الحميري وغيرهم، ويرجع تاريخ تأسيسه الى القرن (الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ومقره في محلة باب الخان قديماً شارع العلقمي حالياً، ومن أبرز نشاطاته هو الخروج بعزاء على شكل ردّات حسينية وقصائد شعرية ولطم، كما يشارك بعزاء الزنجيل، والتطبير، وعزاء طويريج، ومن نشاطاته الأخرى تقديم الطعام للزائرين من اليوم الأول إلى الثامن من محرم الحرام، ثم يوم الثالث عشر منه وهو يوم الدفنة، ثم يوم السابع، وفي اليوم السابع من شهر صفر بمناسبة استشهاد الإمام الحَسَنφ، ويوم الثامن والعشرين من الشهر نفسه، بمناسبة وفاة النبيν[١].

سابعًا: عزاء طرف المخيم الحسيني

وهو من أقدم المواكب التي تأسست في كربلاء إذ يرجع تأسيسه إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، أسّسه مجموعة من وجاء المحلة، وينصب تكيته قرب المخيم الحسيني مع استهلال شهر محرم الحرام، وينفرد هذا الموكب بعزائين هم: عزاء التشابيه، وحرق الخيم يوم عاشوراء، ولعل ذلك يرجع إلى موقعه في مكان المخيم الحسيني وهذا يمثل جزء مهم من مسرح واقعة الطف فاختص الموكب بهذه الطقوس. ويشترك الموكب مع المواكب الأخرى بعزاء النزول والمسير باتجاه مرقدي الإمام الحسينφ وأبي الفضل العباسφ، وتُردّد الجموع المعزية الهتافات والردّات الشعرية والقصائد الحسينية، فضلًا عن تقديم الخِدمات والطعام للزائرين[٢].

---

(١) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع عزيز الهر، ٢٢/ ٨/ ٢٠٢٢م.

(٢) الأسدي، أحمد باسم، مقابلة شخصية مع محمد جواد الخطيب، ٢٠/٨/٢٠٢٢م.

الخاتمة:

بعد دراستي للموضوع الموسوم بـ (الطقوس العاشورائية في كربلاء من القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الهجري دراسة تاريخية)، توصلتُ إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

أولًا: إنّ كثيرًا من الطقوس العاشورائية لها جذور إسلامية أصيلة، وهي تأسيس الأئمةβ، في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، مثل: البكاء، وإقامة المأتم، وإطعام الطعام، وسقي الماء، وإنشاد الشعر، وقراءة المقتل، فضلًا عن لبس السواد والحداد.

ثانيًا: إن تشجيع الأئمة الأطهارβ على إحياء القضية الحسينية، وحُبّهم لإقامة المجالس، جعل الشيعة يستقتلون من أجل هذا الإحياء، لذلك فشلت محاولات الأمويين والعباسيين ومَن جاء بعدهم في إخماد تلك القضية.

ثالثًا: نالت الرواية العاشورائية اهتمام جُلّ الرواة والمؤرخين قديمًا وحديثًا، وكلًا قد رواها بطريقته الخاصة، ويأتي اهتمامهم هذا لعدة أسباب، منها سببان رئيسان باعتقادي أوّلهما: الثقل الديني والاجتماعي للإمام الحسينφ والذي أكسبه المنزلة الكبيرة في قلوب عامة المسلمين، وآخرهما بشاعة الجريمة التي ارتُكِبَت بحقّه وحق أهل بيته وأصحابه.

رابعًا: انتقلت بعض الطقوس إلى كربلاء وصارت جزءًا من الممارسة في عاشوراء وغيره، وذلك في العصور المتأخرة، ومنها: التطبير، وضرب السلاسل.

خامسًا: كان لبعض العلماء أثر في تنظيم المأتم العاشورائي ووضع برنامجًا له، ومن هؤلاء ابن طاووس، وابن نما الحلي، في ما أضاف آخرون للعزاء ممارسات جديدة كالتطيين الذي فعله الدربندي، وإقامة عرس القاسم وهو ما جاء به الطريحي.

سادسًا: بالرغم من أن الطقوس العاشورائية تؤدّى في مختلف الأزمان وتعدد البلدان، إلّا أن صورتها تتم في كربلاء حيث مصرع الإمام الحسينφ، ففيها يرى الرائي كل ألوان الحزن وأشكال الممارسات من: الركض باتجاه الحرم الطاهر، وسَير المواكب تلو المواكب، لا سيما مواكب كربلاء لأطرافها السبعة، ودق الطبول، ونفخ الأبواق، ولطم الصدر، وضرب الظهر بالسلاسل، وتطبير الرأس، مع مشاهد أخرى من الردّات، والتشابيه، وحرق الخيام، وتطيين الوجه والجسد، وإطعام الطعام، وسقي الماء، وغير ذلك الكثير.

سابعًا: للطقوس العاشورائية آثار كبيرة وكثيرة فردية وجماعية، منها: إحياء الدين ونشره، والدعوة إلى التمسك بمبادئ القضية الحسينية، وتهذيب الشخصية واستقامتها، وتعزيز الاعتقاد الديني لدى الفرد، وزيادة قوّة الآصرة بين الجماعة وجعلها كتلة واحدة، وفيها يتم إعانة الفقراء، ولمّ شمل الإخوان واطّلاع بعضهم على أحوال بعض، وهي خير بديل للناس ومانع لهم عن مجالس اللهو والباطل.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المقدسة

*القرآن الكريم

ثانيًا: المصادر الأولية

-ابن الأثير، علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

١.الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م.

-البرقي، أحمد بن محمد (ت: ٢٧٤هـ/٨٨٧م)

٢.المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ط١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ش.

-الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)

٣.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

-الحائري، محمد بن أبي طالب (من أعلام ق١٠هـ/ق١٦م)

٤.تسلية المُجالس وزينة المَجالس، تحقيق: فارس حسّون كريم، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قُم، ١٤١٨هـ.

-الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ/١٠١٤م)

٥.المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

-ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م)

٦.مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.

-الخزاز القمي، علي بن محمد (ت: ق٤هـ/ ق١٠م)

٧.كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، الخيام، قم، ١٤٠١هـ.
-ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
٨.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قُم، ١٣٦٤هـ.
-الزرندي، محمد بن يوسف (ت: ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)
٩.نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، تحقيق: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.
-سبط ابن الجوزي، يوس بن فرغلي (ت: ٦٥٤هـ/)
١٠.تذكرة الخواص، قدّم له: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، (د.ت).
-ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)
١١.كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م.
-الشجيري، يحيى بن الحسين (ت: ٤٩٩هـ/١١٠٥م)
١٢.كتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسيّة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
-ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/١١٩٢م)
١٣.مناقب آل أبي طالب، تحقيق: نخبة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م، ج٣، ص٢٥٩،
-ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
١٤.الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريري، ط١، دار الحديث، قُم، ١٤٢٢هـ.
-الصدوق، محمد بن علي (ت: ٣٨١هـ/٩٩١م)
١٥.الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة بقُم، طهران، ١٤١٧هـ.

١٦.ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٨ش.
-ابن طاووس، علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٥م)
١٧.الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يُعمَل مرّة في السنة، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي-مركز النشر-قم، ١٤١٦هـ.
-الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م)
١٨.المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
-الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م)
١٩.الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م.
-الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)
٢٠.تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
-الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)
٢١.الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ.
٢٢.الغَيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ١٤١١هـ.
٢٣.مصباح المتهجّد، ط١، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١م.
-ابن طيفور، أحمد بن طيفور (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م)
٢٤.بلاغات النساء، انتشارات الشريف الرضي، قم، (د.ت).
-أبو العرب، محمد بن أحمد (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م)
٢٥.كتاب المِحَن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
-عماد الدين الطبري، الحسن بن علي (من أعلام القرن ٧هـ/ ١٣م)
٢٦.كامل البهائي، تعريب وتحقيق: محمد شعاع فاخر، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ.

-الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)
٢٧.كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قُم، ١٤١٠هـ.
-أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م)
٢٨.مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، ط٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦م.
-ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)
٢٩.الحوادث الجامعة في التجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
-القاضي النعمان، النعمان بن محمد (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)
٣٠.المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، وآخرون، ط١، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م.
-ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت: ٣٦٨هـ/٩٧٨م)
٣١.كامل الزيارات، تحقيق: مؤسسة نشر الفقاهة، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤١٧هـ.
-الكاشفي، حسين بن علي (ت: ٩١٠هـ/١٥٠٤م)
٣٢.روضة الشهداء، ترجمة وتحقيق: محمد شعاع فاخر، مكتبة الحيدرية، (د.ت).
-ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
٣٣.البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٢م.
-الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ/٩٤٠م)
٣٤.الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨.
-المدائني، علي بن محمد (ت: ٢٢٤هـ/٨٣٨م)
٣٥.التعازي، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٣م.
-المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)
٣٦.مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

-المفيد، محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ/١٠٢٢م)
٣٧.الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيتβ لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٨.الأمالي، تحقيق: حسين الأستاد ولي، وعلي أكبر الغفاري، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م.
-المنقري، نصر بن مزاحم (ت: ٢١٢هـ/٨٢٧م)
٣٩.وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٣هـ.
-ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)
٤٠.لسان العرب، أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.
-ابن نما الحلي، جعفر بن محمد (ت: نحو٦٨٠هـ/١٢٨١م)
٤١.مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان، تحقيق: محمد المعلم، ط١، منشورات المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٣٤هـ.

ثالثًا: المراجع الحديثة

-الأبيض، مهتدي
٤٢.اجتماعية التدين الشعبي، دراسة تأويلية للطقوس العاشورائية، ط١، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٧م.
-أديب الملك، عبد العلي خان
٤٣.سفرنامة أديب الملك ١٢٧٣هـ. ق، تصحيح: مسعود كلزاري، جابخانة نقش جهان، طهران، ١٣٦٤ش.
-الأمين، محسن،
٤٤.أعيان الشيعة، حققه واخرجه وعلق عليه حسن الأمين، ج٨، بيروت دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣م.
٤٥.إقناع اللائم على إقامة المآتم، تحقيق: حسن بن علوي الموسوي، ط١، مجمع الإمام الحسينφ العلمي لتحقيق تراث أهل البيتβ، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧م.

-الأنصاري، رؤوف محمد علي
٤٦.عمارة كربلاء، دراسة عمرانية وتخطيطية، مؤسسة الصالحاني، بيروت، ٢٠٠٦م.
-إيزار، ميشال، وبياربونت
٤٧.معجم الأثنُولوجيا والأنتربولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.
-البحراني، محمد بن أحمد
٤٨.رسالة في الاستئجار لرثاء الحسينφ، تحقيق: نهاد الفيّاض، ط١، (د.م)، ١٤٣٨هـ.
-البدري، سامي
٤٩.المجالس الحسينية تأسيس الأئمة من ذرية الحسينφ، ط٢، مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، النجف الأشرف، ٢٠١١م.
-بك، كمال، والدملوجي، يوسف صديق
٥٠.مدحت باشا حياته مذكراته، محاكمته، الدار العربية، بيروت، ٢٠٠٢م.
-بندكتي، روبير
٥١.الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية، ط١، دار مصر المحروسة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
-الجبوري، كامل سلمان
٥٢.العتبات المقدسة في العراق في رحلات الحج والزيارة الفارسية، دار المواهب، بيروت، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٤١.
-الجويني، محمد صالح، وآخرون
٥٣.جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، إعداد: حيدر حب الله، ط١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٩م.
-أبو الحب، محسن
٥٤.ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير، تحقيق: جليل كريم أبو الحب، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء، ٢٠١٥م.

-حرز الدين، محمد
٥٥.معارف الرجال، علق عليه: محمد حسين حرز الدين، مطبعة الولاية، قُم، ج٣، ١٤٠٥هـ. ق.
-الحسون، محمد
٥٦.رسائل الشعائر الحسينية، ط١، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، ٢٠١١م.
-الحسني، عبد الرزاق
٥٧.تسخير كربلاء، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء، ٢٠١٥م.
-الحكيم، محمد سعيد
٥٨.فاجعة الطف أبعادها. ثمراتها. توقيتها، ط٣، دار الهلال، ٢٠١٠م.
-الحلو، محمد علي
٥٩.الظاهرة الحسينية، ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١١م.
-حمداوي، جميل
٦٠.أنثروبولوجيا الشعائر والطقوس الدينية، ط١، دار الريف، الناظور-تطوان-المملكة المغربية، ٢٠٢٠م.
-الحيدري، إبراهيم
٦١.تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م.
-الدربندي، آغا بن عابد
٦٢.إكسير العبادات في أسرار الشهادات، تحقيق: عباس ملّا عطية، ط١، شركة المصطفى للخدمات الثقافية، المنامة-البحرين، ١٩٩٤م.
-دينكن، ميشيل
٦٣.معجم علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
-الرستم، باقر
٦٤.التطبير والإشكالية المزمنة، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٠م.
-الرشتي، كاظم بن قاسم

٦٥.أسرار الشهادة المعروف بـ (سر وقعة الطف)، تحقيق: عبد الكريم العقيلي، مؤسسة بنت الرسولν (بضعة المصطفىν) لإحياء تراث أهل البيتβ (د.م)، ٢٠٠١م.

-زامباور، إدوارد فون

٦٦.معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك، وحسن أحمد محمود، اشترك في ترجمة بعض فصوله: سيدة إسماعيل كاشف، وآخران، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠م.

-زميزم، سعيد رشيد

٦٧.تاريخ الشعائر الحسينية، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٧م.

-الشامي، حسين بركة

٦٨.مقدمة في الإصلاح وتجديد الشعائر الحسينية، بغداد، دار الإسلام، ٢٠٠٩م.

-الشاهرودي، علي النمازي

٦٩.مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٩هـ.

-شرف الدين، عبد الحسين

٧٠.مقدمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، تحقيق: نور الدين الميلاني، ط١، مركز الحقائق الإسلامية، قم، ١٤٣٠هـ.

-شريعتي، علي

٧١.التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ط٢، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٧م.

-شمس الدين، محمد مهدي

٧٢.ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ط١، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٨٠م.

-الشهرستاني، صالح

٧٣.تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن عليφ، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط١، مؤسسة أنصاريان، قم، ٢٠٠٣م.

-الشهرستاني، هبة الدين

٧٤.نهضة الحسين، قدّم له: علي الخاقاني، ط٥، رابطة النشر الإسلامي، كربلاء، ١٩٦٩م.
-الشيرازي، صادق
٧٥.نفحات الهداية، كربلاء، دار صادق للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.
-الصفار، أحمد فاضل
٧٦.الحماية الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، (د.م)، (د.ت).
-طرطور، شعبان
٧٧.الدولة الجلائرية، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٧م.
-الطريحي، فخر الدين بن محمد
٧٨.المنتخب في جمع المراثي والخطب، ضبط وتصحيح: نضال علي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٣م.
-ال طعمة، سلمان هادي
٧٩.تاريخ مساجد كربلاء وحسينياتها، مركز احياء التراث الثقافي والديني، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢١م.
٨٠.محاسن المجالس في كربلاء مراجعة وتدقيق وتقديم: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث كربلاء، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥م.
٨١.الموروثات والشعائر في كربلاء، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٣٣م.
-ال طعمة، صادق
٨٢.تاريخ عزاء طويريج، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٧م.
-العايد، أحمد، وآخرون
٨٣.المعجم العربي الأساسي، مكتبة لاروس، (د.ت).
-العزاوي، عباس
٨٤.تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (د.ت).
-عطية، رشيد
٨٥.معجم عطية في العامّي والدخيل، ضبطه وصححه: خالد عبد الله الكرمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

-عوض، عبد الرضا
٨٦.جذور الشعائر الحسينية في الحلة، دار الفرات، بابل، ٢٠١٤م.
-القريشي، محمد علي داعي الحق
٨٧.ضحايا عزاء الحسينφ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.
-القزويني، جودت
٨٨.تاريخ عزاء طويريج، بيروت: دار الخزائن لإحياء التراث، ٢٠١٤م.
-الكرباسي، محمد صادق
٨٩.تاريخ المراقد (دائرة المعارف الحسينية)، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ١٩٩٨م.
-كسرائي، شاكر
٩٠.مشهدية الشعائر الحسينية عند العرب والإيرانيين، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العتبة الحسينية، (النجف الأشرف)، ٢٠١٨م.
-الكعبي، محسن مدلي
٩١.الشعائر الحسينية ودورها في الحفاظ على الهوية الشيعية، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٦م.
-الكليدار، عبد الجواد
٩٢.تاريخ كربلاء وحائر الحسينφ، ط١، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٤١٨هـ.
٩٣.كول، خوان، ومومن، موجان، العثمانيون وشيعة العراق، بيت الوراق، بغداد، ٢٠١٦م.
-اللبناني، طوبيا
٩٤.كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، ط٢، مكتبة العرب، مصر، ١٩٣٢م.
-لونكريك، ستيفن هيمسلي

٩٥.أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية: جعفر الخياط، ط٥، الفرات–الرافدين، للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
–الماجدي، خزعل
٩٦.علم الأديان، تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله، ط١، مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية–الرباط، ٢٠١٦م.
مجمع اللغة العربية
٩٧.المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
–مجموعة باحثين
٩٨.الموسوعة العربية الميسّرة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م.
–مركز إحياء التراث في العتبة العباسية المقدسة
٩٩.كربلاء في مجلة لغة العرب، دار الكفيل كربلاء، ٢٠١٤م.
–مركز كربلاء للدراسات والبحوث
١٠٠.موسوعة كربلاء الحضارية، قسم الوثائق العثمانية، ترجمة: سامي المنصوري، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٨م.
–المظفر، حسن بن عبد المهدي
١٠١.نُصرة المظلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
–معلوف، لويس
١٠٢.المنجِد في اللغة والأدب والعلوم، ط١٩، المطبعة الكاثوليكية، (د.م)، (د.ت).
–الموسوي، رياض
١٠٣.البكاء على الحسينφ وأثره في تكامل النفس والمعرفة (بحوث آية الله الشيخ محمد السند)، ط١، مركز الأمير φ الثقافي، النجف الأشرف، ٢٠١٣م.
–الموسوي، ليث عزيز
١٠٤.أصل وتاريخ الشعائر الحسينية، مركز الدراسات التخصصية في المواكب الحسينية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٧م.
–ال نصر الله، عبد الصاحب
١٠٥.بيوتات كربلاء القديمة، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠١١م.

١٠٦.كربلاء في أدب الرحلات، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠١٣م.
-الورد، باقر أمين
١٠٧.بغداد خلفائها- ولاتها- ملوكها- رؤساؤها، دار التربية، (د.ت).
-الوردي، علي
١٠٨.دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، ٢٠١٣م.
١٠٩.لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط٢، دار الراشد، بيروت، ٢٠١٣م.

رابعًا: الرسائل الجامعية

-الأسدي، أحمد باسم حسن
١١٠.كربلاء من (١٧٤٩-١٨٦٩م) دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠١٧م.
الزبيدي، سهير عباس كاظم
١١١.الأحوال الاجتماعية في منطقة الفرات الأوسط من خلال كتب الرحالة الأجانب(١٨٣١ -١٩١٤م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٢م.
-الوَائلي، طَالِب محيبس حَسَن
١١٢.إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول (٩٠٧-٩٣١هـ/١٥٠١-١٥٢٤م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.

خامسًا: المجلات

-جعفريان، رسول
١١٣.الشعائر الحسينية النشأة والتطور، حوار مع مجلة الإصلاح الحسيني، العدد الثاني عشر، السنة الثالثة، النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
-السعدي، انتصار عبد عون
١١٤.الآثار والمظاهر الاجتماعية لمراسيم العزاء الحسيني في كربلاء، (مجلة تراث كربلاء)، ، العدد الثاني، السنة الثانية، كربلاء، ٢٠١٦م.
-الشمري، ثامر مكي علي، والقريشي، عبد الأمير

١١٥.عزاء طويريج دراسة تاريخية، (مجلة السبط)، العدد الثاني، السنة الأولى، كربلاء، ٢٠١٦م.

-النداوي، عبد الرزاق

١١٦.تطور مراحل العزاء والمأتم الحسيني، (مجلة الإصلاح الحسيني)، العدد ١٢، السنة الثالثة، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.

سادسًا: المخطوطات

-ال طعمة، سلمان

١١٧.الأصول التاريخية لأسماء مواقع كربلاء، مخطوط محفوظ في خزانة المؤلف.

١١٨.نصوص كربلائية، مخطوط محفوظ في خزانة المؤلف.

سابعًا: الوثائق

١١٩.وثيقة صادرة من مديرية شرطة لواء كربلاء، منهاج سير مواكب العزاء الحسيني، العدد٢/١٤، بتاريخ ١٩٢٩/٦/١٥م. محفوظة لدى عزيز الهر (مختار محلة باب السلالمة).

ثامنًا: المقابلات الشخصية

-الأسدي، أحمد باسم

١٢٠.مقابلة شخصية مع فاضل عبد الأمير بو دكة (كفيل الموكب)، ٩/ ٧/ ٢٠٢٢م.

١٢١.مقابلة شخصية مع محمد مهدي الشيباني (خادم في الموكب)، ٢٠٢٢/٧/١٦م.

١٢٢.مقابلة شخصية مع حميد الوزني (كفيل عزاء طرف المخيم)، ٢٠٢٢/٨/١٩م.

١٢٣.مقابلة شخصية مع محمد جواد الخطيب ال قفطون، (كفيل الموكب ومختار طرف باب الطاق)، ٢٠٢٢/٨/٢٠م.

١٢٤.مقابلة شخصية مع عزيز الهر (مختار محلة باب السلالمة وكفيل عزاء باب السلالمة)، ٢٠٢٢/٨/٢٢م.

Abstract:

The current study which is entitled " Ashoor Rituals in Kerbala from the Seventh Hijri Century to the Thirteenth Hijri Century: A Historical Study" studied the old and updated rituals in the mentioned period.

The study started the linguistic and terminological meaning of the ritual with the clarification of the similarities among the ritual, faith, and rite (filament). Then, the primary roots of these rituals were investigated, followed by the way in which they were mentioned.

Later, the study moved to tackle the aim of every ritual that participants performed in Husseini consolation. The most important rituals were treated in separate sections such as wailing, funerals, condolence at homes, streets, and Husseiniyas.

The study also mentioned instruments and tools of condolence, black color, fire orches, and chains. There was a special function for visitors' nourishment; beside a ection for slashing condolence, and the city suburbs condolence where there was .a ection devoted for each performance

nistry of Higher Education and Scientific Research bala University
ege of Education for Human Sciences
partment of History

Ashoor Rituals in Kerbala from the Seventh Hijri Century to the Thirteenth Hijri Century: A Historical Study

by:
Ahmed Abdullah Reshead

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for Human Sciences/Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements of Master Degree in Islamic History.

The supervisor:
Prof. Dr. Maithem Murtedha Nesrallah

023 A.D . ١٤٤٤ H.